



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور خنشلة



كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص أدب قديم

بناء المقدمات في كتب النقد العربي القديم - طبقات فحول الشعراء لابن سلام أنموذجاً -

مذكرة مقدمة لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مواد شهادة الماستر

إشراف الأستاذة:

د. فالق سمية

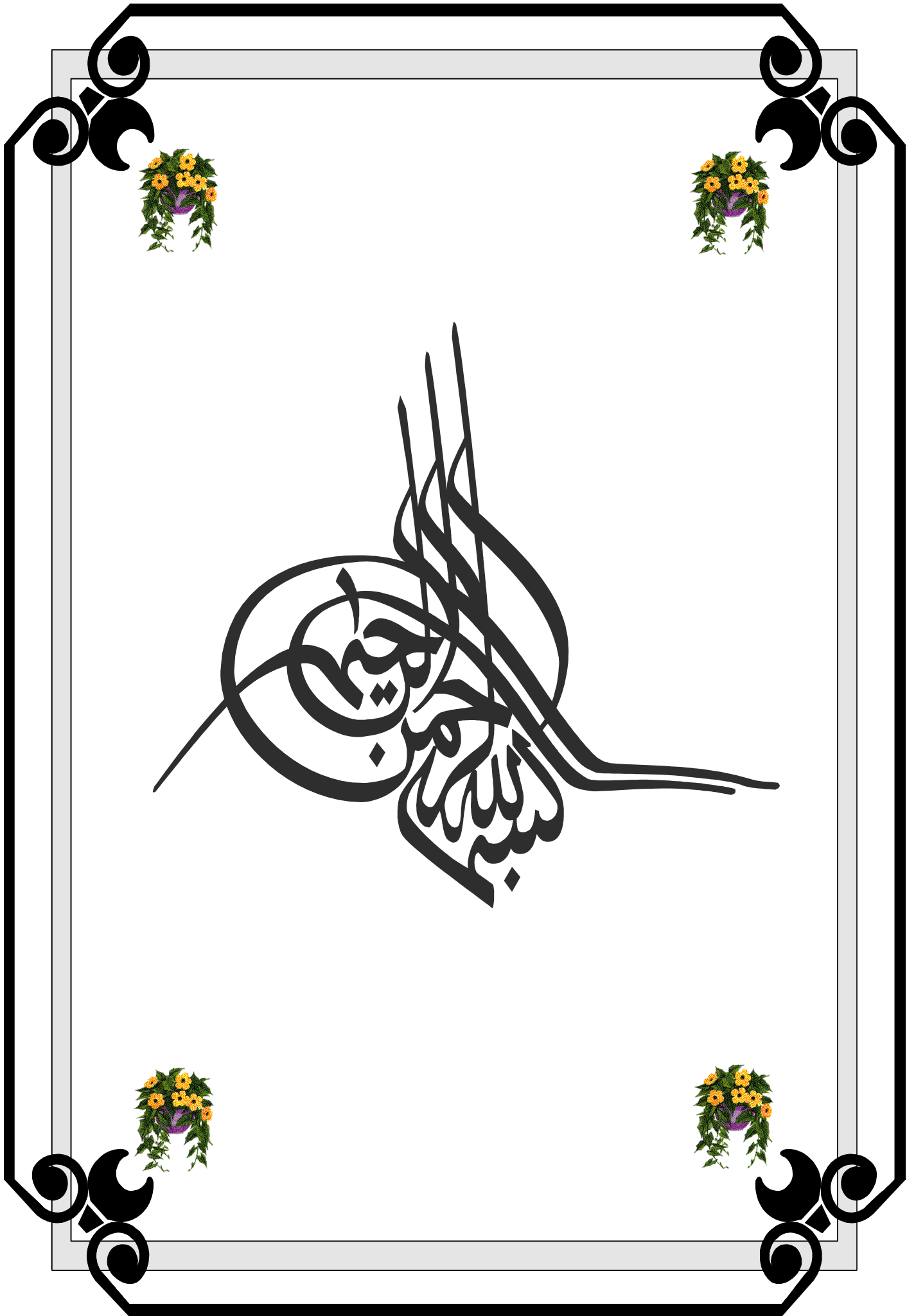
إعداد الطالبة:

زوليفة عطاء الله

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.مزيتي خميسة	أستاذ مساعد أ	جامعة عباس لغرور خنشلة	رئيسا
د.فالق سمية	أستاذ محاضر ب	جامعة عباس لغرور خنشلة	مشرفا
أ.خزري عالمة	أستاذ مساعد أ	جامعة عباس لغرور خنشلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2015/2014



شكر وتقدير

من لا يشكر الناس لا يشكر الله... وفي هذا المقام لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والتقدير للأستاذة الفاضلة الدكتورة " فالح سمية " التي أفادتني بتوجيهاتها القيمة خلال مرحلة إعداد الدراسة... وأنارت دربي وكانت كالشمعة المضيئة

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى اللجنة المناقشة على قبولها عضوية اللجنة وأخص بالذكر الأستاذتين الفاضلتين " مزيتي خميسة " و خذري عالمة". الى كل طاقم كلية الآداب واللغات لاسيما رئيس قسم الادب العربي بجامعة الشهيد عباس لغرور بخنشلة، الى كل من ساهم في تكويني طيلة هذا المسار.....

كما أتقدم بالشكر الجزيل للوالدين العزيزين على دعمهما لي.

الطالبة : زوليخة عطاءالله

فهرس الموضوعات

مقدمة.....	أ - ج
مدخل: النقد العربي القديم لابن سلام الجمحي.....	06
أولا : النقد العربي القديم.....	10-06
ثانيا:التعريف بالمؤلف(ابن سلام الجمحي).....	13-11
ثالثا : التعريف بالمؤلف(كتاب طبقات فحوا الشعراء).....	17-13
رابعا :مقاييس النقد عند ابن سلام.....	20-17
الفصل الاول :بنية المقدمة في كتب النقد العربي القديم.....	22
أولا:بنية المقدمة.....	22
1_ مفهوم البنية	22
أ_ المدلول اللغوي.....	22
ب_ المدلول الاصطلاحي.....	22
2_ مفهوم المقدمة	23
أ_ المدلول اللغوي.....	23
ب_ المدلول الاصطلاحي.....	27-23
3_أنواع المقدمات.....	27
أ_ المقدمة الموسعة.....	27
ب_ المقدمة المضيقية.....	27
ج_ المقدمة المضافة.....	28

4_وظائف المقدمات.....	29
أ_ الوظيفة التأصيلية.....	29
ب_ الوظيفة الايصالية.....	29
ج_ الوظيفة التفصيلية.....	30-31
5_أنواع الاستهلال.....	32
أ_ الاستهلال الواقعي.....	32
ب_ الاستهلال التخيلي.....	32
ج_ الاستهلال المزيف.....	32-33
ثانيا:بنية المقدمة في كتب النقد العربي القديم.....	34
1_البسمله.....	35-36
2_الحمدله.....	36-38
3_التصلية والتسليم.....	38-39
4_التشهد.....	39-41
5_دواعي التأليف.....	41-45
6_جنس التأليف.....	45-46
7_خطة التأليف.....	46-47
8_تقريض الكتاب(العنوان).....	47-48
9_مصادر التأليف.....	49
10_زمان التأليف ومكانه.....	49

51-49.....	11_ الدعاء والحمد.....
53.....	الفصل الثاني: بنية المقدمة في كتاب طبقات فحول الشعراء.....
53.....	أولاً: الاستهلال.....
54-53.....	1_ البسملة.....
57-55.	2_ الراوي.....
58.....	3_ البعدية.....
59.....	ثانياً: العرض.....
72-59.....	1_ دواعي التأليف.....
73-72.....	2_ جنس التأليف.....
75-73.....	3_ خطة التأليف.....
75.....	4_ العنوان.....
77-76.....	5_ مصادر التأليف.....
78.....	6_ زمان ومكان التأليف.....
79-78.....	ثالثاً: الانتهاء.....
82-81.....	الخاتمة.....
.88-84.....	المصادر والمراجع.....
90.....	الملخص.....
92.....	فهرس الموضوعات.....

مقدمة

الفصل الأول

الفصل الثاني

الخاتمة



قائمة المراجع والمصادر

تتخذ المكتبة العربية، بكم هائل من المصنفات في مجال البلاغة و النقد و الأدب و اللغة و التفسير... يبرز فيها كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي؛ كواحد من أهم الكتب النقدية، سعى فيه صاحبُه لتصنيف الشعراء ووضعهم في مراتب أو طبقات وفق منهج واضح و معايير دقيقة .
و تأتي مقدمة الكتاب لتدفع النقد الأدبي إلى اعتماد معايير وآراء في قضايا نقدية مهدت لمفهوم الشعر .

ومن هنا فان مقدمة كتاب ابن سلام الجمحي، تأتي بمثابة العتبة الضرورية للولوج إلى متن الكتاب، ولإعطاء تفاصيل مهمة عن المقاييس المعتمدة في تقسيم الشعراء إلى طبقات ضمنها ابن سلام صفة آرائه في النقد.
في سياق ما قلنا سابقا يأتي البحث الموسوم بـ:

" بناء المقدمات في كتب النقد العربي القديم "

طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي_نموذجاً

ليوضح بنية المقدمات في الكتب النقدية القديمة عموماً، وفي كتاب طبقات فحول الشعراء على وجه الخصوص، محاولاً معالجة بنية المقدمة في الكتب النقدية القديمة باعتبارها عتبة للمتن، يلج من خلالها الباحث إلى موضوع الكتاب .
ويتأسس هذا البحث على جملة من المسوغات الذاتية و الموضوعية الرامية إلى مقارنته.

أما الأسباب الذاتية فتمثلت في تعلقي بالنقد عموماً وبالنقد العربي القديم على وجه الخصوص .

أما الأسباب الموضوعية فتمثلت حول ميل معرفي لتقديم مقارنة نقدية حول المقدمة في كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي .

أما عن إشكالية البحث فدارت حول جملة من الأسئلة سعى البحث للإجابة عنها:

ما ماهية المقدمة في التراث النقدي العربي القديم، وكيف توقعت؟

وفيما تجلت بنية المقدمة في كتاب طبقات فحول الشعراء؟

وماهي الوظائف التي تميزت بها المقدمة النقدية؟
والى أي مدى يمكن اعتبار المقدمة عتبة من عتبات النص؟
واستدعت الدراسة تتبع الخطة الآتية:

مقدمة، ومدخل وفصلين، انطلق فيها البحث من مدخل معنون بـ "النقد العربي القديم وابن سلام الجمحي"؛ حيث سلط الضوء على النقد العربي القديم من خلال أنماط النقد السائدة، وكذا التعريف بالمؤلف والمؤلف ثم التطرق إلى مقاييس النقد التي اعتمدها ابن سلام في طبقاته.

وفي الفصل الأول الذي وسم بـ: "بنية المقدمة في كتب النقد العربي القديم" أين تحدث البحث أولاً عن بنية المقدمة من خلال تعريف كل من البنية و المقدمة مع ذكر أنواعها ووظائفها، وثانياً عن بنية المقدمة في بعض كتب النقد العربي القديم.
أما الفصل الثاني فخصّصَ لدراسة بنية المقدمة في كتاب طبقات فحول الشعراء من خلال ثلاثة عناوين و هي:

- 1- الاستهلال من خلال التطرق إلى أهم عناصره ممثلة في البسمة والراوي والبعديّة.
- 2- أما العرض فكان مجالاً للحديث عن أسباب تأليف الكتاب ومنهجه والمصادر التي تم الاعتماد عليها، إضافة إلى زمكانية الكتاب.
- 3- الانتهاء: كوحدة خطابية ثالثة ختم بها ابن سلام بنية المقدمة في مؤلفه (طبقات فحول الشعراء)

منهية عملي بخاتمة رصدت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.
وأما عن منهج الدراسة فقد عمل البحث على عدم حصر الدراسة في منهج بعينه؛ فقد استعان بالمنهج التاريخي و التحليلي مع مراعاة خصوصية البحث بالاستفادة من هذه المناهج ومن غيرها، مما تستدعيه ضرورة البحث .

وقد اعتمد البحث على جملة من المصادر والمراجع، أبرزها كتاب "طبقات فحول الشعراء" لابن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر؛ إلى جانب كتاب "التفكير النقدي عند العرب" لـ: عيسى علي العاكوب وكتاب "عتبات النص المفهوم والموقعية و الوظائف لـ: مصطفى سلوي، إضافة إلى كتاب "دراسة في مقدمات النقد العربي القديم" لإدريس نوقري.

وقد جابهتني أثناء انجازي لهذا البحث، جملة من الصعاب بعضها ارتبط بالبحث ذاته كـنقص المراجع، و ضيق الوقت، و بعضها ارتبط بالظروف المحيطة اجتماعيا ومهنيا.

واستغل هذا المقام لأتقدم بالشكر الخالص لأستاذتي الفاضلة المشرفة الدكتورة "سمية فالح" التي لم تبخل علي بالدعم المادي والمعنوي، فأمدتني طوال رحلتي مع البحث بالنصائح والتوجيهات والمراجع اللازمة؛ فسهلت مهمتي، فلها مني خالص الشكر و الامتتان و الاحترام وأن أخصص الشكر، كلُّ الشكر إلى هيئة التدريس بكلية الآداب و اللغات و اخص قسم اللغة والأدب العربي .
كما أتوجه بالشكر الخالص إلى هيئة المناقشة المتمثلة في الأستاذتين الفاضلتين: "مزيتي خميسة" "خذري عالمة".

وأخيرا فان كنت قد وفقت، فهذا غاية ما ارجوه، و لله الحمد على ما هداني، وان شاب عملي قصور أو نقصان، فتلك طبيعة البشر والله وحده الفضل و الكمال.

أولاً : النقد العربي القديم

1/ مفهوم النقد :

يساهم النقد في النهوض بالأدب وتوجيهه إلى الكمال برسم مناخه، وتصحيح أخطائه، وذلك بالنظر إلى معانيه المتعددة سواء تعلق الأمر بمدلوله اللغوي أو الاصطلاحي .

أ/ المدلول اللغوي :

يعرف ابن فارس مادة(نقد) في معجم مقاييس اللغة:"النون والقاف والداد أصل صحيح يدل على إبراز شيء وبروزه، من ذلك:النقد في الحافر،وهوتقشره،حافر:نقد: متقشر... وتقول العرب: ما زال فلان ينقد الشيء ؛ إذا لم يزل ينظر إليه"¹ فالمدلول اللغوي لمادة نقد تشمل حديثنا عن المدلول الاصطلاحي.

ب/ المدلول الاصطلاحي :

أما في المدلول الاصطلاحي فيعرف بأنه : " تمييز جيد الكلام من رديئه ،أو هو شرح العمل الأدبي وتفسيره واستظهار خصائصه ثم الحكم عليه بالجودة أو الرداءة ، وهو تقويم العمل الأدبي بعد دراسته أو هو فن دراسة النصوص والتمييز بين الأساليب المختلفة"² .

ومن هنا نلاحظ أن النقد الأدبي يقوم بشرح العمل الأدبي وتفسيره واستظهار خصائصه ثم الحكم عليه وبيان قيمته .

2/ صور النقد

إن صور النقد في العصر الجاهلي كثيرة ومتشعبة ولكنها تتمحور في صورتين هما: النقد الانطباعي (الذاتي التأثري)،والنقد الذي مبعثه الروية والأناة.

¹-عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، دار الوعي رويبة - الجزائر - ط 9 ، 2012 ، ص 17 .

² - داود غطاشة الشوابكة، محمد أحمد صوالحة ، النقد العربي القديم حتى نهاية القرن الخامس الهجري، دارالفكر،

عمان ، ط 1 ، 2009 ، ص 8.

أولاً- **النقد الانطباعي**: ونقصد به النقد الذاتي التأثري، الذي مبعثه الإحساس القائم على الذوق الفطري، فهذا النقد قائم على الإحساس بأثر الشعر في النفس وعلى مقدار وقع الكلام عند النقاد وهذا النقد الانطباعي جعلهم يرجعون في كل ما يتصل بأدبهم إلى السليقة ويصدرون عنها في أحكامهم وتذوق الجمال عندهم مرده إلى الطبع الذي نشأوا عليه، والى البيئة ذات الطابع العربي الأصيل ولهذا جاء نقدهم مطابقاً لفطرتهم وبيئتهم. والناظر في النصوص النقدية التي وردت يلاحظ أن النقد الانطباعي اخذ عدة اتجاهات وهي:

أ- **النقد اللغوي**: وهو القائم على نقد الخطأ في الاستعمال اللغوي، ولقد كان العربي على صلة وثيقة بأسرار لغته، يدرك بفطرتة الدلالة الوضعية للكلمات فإذا ابتعد الشاعر عن تلك الدلالة أحس بذلك إحساساً مباشراً¹.

ومن الأمثلة الواضحة ما روي عن أبي عبيدة قال: مرالمسيب بن علس بمجلس بني قيس بن ثعلبة فاستتشدوه، فأنشدهم:

أَلَا نَعِمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الرِّيعِ وَأَسْلَمَ نَحْيِيكَ عَنِ شَحْطٍ وَإِنْ لَمْ تُكَلِّمْ

فلما بلغ قوله:

وَقَدْ أَتَسَى الْهَمَّ عِنْدَ أَذْكَارِهِ بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعِرِيَّةِ مَكْدَمِ

فقال طرفة وهو صبي يلعب مع الصبيان: استنوق الجمل؛ والصيغرية سمة في عنق الناقة لا البعير - كما استعملها العرب - وقد استعملها المسيب خطأ في وصف الجمل فأنكر عليه طرفة بعبارة ساخرة هي استنوق الجمل معتمداً على حسه اللغوي في تخطئة الشاعر.

ب- **النقد المعنوي**: يدرك العربي بفطرتة، أن اللغة وضعت للتعبير عن ذاته وعن إحساسه وعن قيمه ومثله، فإذا طابقت لغته المعنى الذي عبر عنه مطابقة سليمة رضي عن ذلك واطمأن، وعبر عن إعجابه ورضاه والعكس صحيح يروى أن حسان بن ثابت انشد الذبياني قصيدة قال فيها مفتخراً:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

¹ مصطفى عبد الرحمان ابراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، كلية الدراسات الإسلامية للبنين القاهرة- مصر- د ط 1998 ص ص 20-21.

وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْفَاءِ وَابْنِي مُحْرَقٍ فَأَكْرَمُ خَالًا وَأَكْرَمُ بَنًا ابْنَمَا
فقال له النابغة: أنت شاعر، ولكنك أقللت أجفانك وأسيافك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر
بمن ولدك¹

فلفظة (الجففات) وهي جمع مؤنث سالم لا تدل على الكثرة مثل (الجفان) ذلك أن جمع المؤنث السالم إنما يدل في أصل وضعه على عدد قليل على عكس جمع التكسير جفون يدل على الكثرة وهي تناسب الفخر وكذلك أسيافنا فهي جمع قلة تدل على عدد لا يرتفع لأكثر من عشرة وقد تهبط إلى ثلاثة ولو قال سيوفنا لكان أفضل وكذلك استهجن أن يفخر الشاعر بالابن لا بالأب فقال أكرم بنا ابنما ولم يقل (فأكرم بنا أبا).

ومن النماذج نقد أم جندب لشعر زوجها وابن عمها علقمة الفحل مقارنة بشعر امرئ القيس، فهو كما تقول الرواية: أن الشاعرين احتكما إليها في أيهما أشعر فاقتزحت عليهما أن ينشد كلا منهما قصيدة في موضوع واحد ومن بحر واحد، وقافية واحدة؛ فلما انشداها القصيدتين، قالت لزوجها: علقمة اشعر منك، قال كيف؟ قالت لأنك قلت:

فَلِلسَّوْطِ الْهُوبِ وَلِلسَّاقِ دُرَّةٌ وَلِلرَّجْرِ مِنْهُ وَقَعٌ أَخْرَجَ مُهَدَّبٍ

وقال علقمة:

فَأَدْرَكَهُنَّ ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ يَمُرُّ كَمَرِ الرَّائِحِ الْمُتَحَلِّبِ

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه لم يضربه ولم يتعبه.

ج/ النقد العروضي:

الفت الأدواق العربية الرتابة التي تحققها وحدة الإيقاع ووحدة النغم، ونفرت من النشاز الموسيقي الناجم عن الاضطراب الذي وقع فيه، بعض الشعراء وقد عيب على النابغة انه كان يقوى في شعره فقد ذكر الرواة:

أَمِنْ آلِ مِيَّةٍ رَائِحٍ أَوْ مَعْتَدِيٍّ عَجَلَانَ ذَا زَادٍ ، وَغَيْرَ مَزُودٍ .
زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رَحَلْتَنَا غَدًا وَبِذَلِكَ حَدَّثْنَا الْغَرَابُ الْأَسْوَدُ.²

¹ - المرجع السابق، ص 25

² - المرجع نفسه، ص 41

وقد قدم النابغة المدينة فعيب ذلك عليه فلم يأبه حتى اسمعه إياه في غناء حيث قالوا للجارية إذا صرت إلى القافية فرتلي فلما قالت: الغراب الأسود، وباليد، علم فانتبه، فلم يعد فيه وقال: "قدمت الحجاز وفي شعري صنعة ورحلت عنها وأنا اشعر الناس".

د/ تقديم الشعراء:

من صور نقد الشعر الذاتية ، تقديمهم شاعرا على غيره تقديمًا مطلقًا دون إبداء علة معقولة تسوغ التقديم أو تعزز الحكم، منها: قول لبيد: وقد سئل من اشعر الناس؟ فقال الملك الضليل، قيل ثم من؟ قال الشيخ أبو عقيل يعني نفسه.

ثانيا: النقد الذي مبعثه الروية والأناة وله عدة صور:

أ- التنقيف والتنقيح:

ح يث يهذب الشاعر شعره وينقحه ويراجعه ويقوم بتمحيصه حتى يظهر للناس مبراً من كل خطأ. فمنهم من يحتفل بنظم شعره، ويتأنى فيه ويتمهل ويغير فيه ويبدل ويضيف ويحذف فمنهم من يحتفل بنظم شعره، ويتأنى فيه ويتمهل ويغير فيه ويبدل ويضيق ويحذف، وخير من يمثل هذه العملية الشاعر زهير بن أبي سلمى الحوليات لأنها لم تنظم مرة واحدة يقال: انه كان يعدها في أربعة أشهر، وينظر فيها ويراجعها وينقح فيها، ويهذب في أربعة أشهر ثانية ثم يعرضها على ذوي الرأي الصائب والذوق السليم في أربعة أشهر أخرى وفي ذلك قال الجاحظ: "ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا وزمنا طويلا، يردد فيه نظرة ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه، إلهاما لعقله... وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات و المنقحات والمحكمات، اوس بن حجر، زهير، كعب بن زهير، الحطيئة، طفيل الغنوي، والنمر بن تولب ممن سماوا عبيد الشعر"¹.

¹ ابن رشيقي العمدة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة: مصر، ط3، 1963، ص133

ب- الرواية:

هي الأداة الطيبة لنشره وذيوعه وكانت هناك طبقة تحترفها احترافا وهي طبقة الشعراء أنفسهم فقد كان من يريد نظم الشعر وصوغه يلزم شاعرا يروي عنه شعره، وما يزال يروي له ولغيره حتى يتفق لسانه ويسيل عليه ينبوع الشعر والفن.. فزهير كان راوية لزوج أمه أوس بن حجر وكعب الذي كان راوية لأبيه زهير وهكذا...

والرواة نقاد لان الرواية ينشد شعر من يروي له، وعمله يقتضي أن يكرر الإنشاد وهنا قد تتكشف له بعض العيوب فيتجراً على إصلاح ما تراءى له ثم ينشد القصيدة منقحة .

ج/ الاختيار:

أن يتفطن الناقد بذكائه ولماحيته إلى أن أدبا ما أو أدبيا ما قد بلغ درجة من الحسن والجودة، واختيار العرب للمعلقات دليل على صدورها عن روية وأناة قال ابن عبد ربه، " قد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب وعلفتها بأستار الكعبة"¹

وقد أسهم رواة القرنين الأول والثاني الهجريين في تحديد مسار القضايا النقدية الكبرى، التي أوجدت لنفسها مكانا هاما في مؤلفات القرون الموالية أين تمنهجت الدراسات النقدية خاصة مع حركة التأليف بدء من القرن الثالث الهجري ، ويعد ابن سلام الجمحي أول من نظم تلك الآراء النقدية الصادرة عن الرواة في كتابة طبقات "فحول الشعراء"، الذي يعد أول كتاب نقدي وصل إلينا كاملا، وهذا من خلال سعي ابن سلام إلى تصنيف الشعراء ووضعهم في مراتب أو طبقات وفق مقاييس معينة للفصل بين الشعراء، وبهذا سمي كتابه طبقات فحول الشعراء. ومن هنا فان الطبقة كلمة تحمل دلالات ومعان متعددة، " فطبقات جمع (طبقة)، ويلحظ في مادة (طبق) في العربية معنى (المساواة)، إذا طبق من كل شيء مساواه، وقد طابقه مطابقة وطباقا، أي ساواه مساواة، ويبدو أن ابن سلام أراد بـ (الطبقة) جماعة من الشعراء تشابهت في أمر من الأمور"² كذلك تدل كلمة (طبقة) على معنى الحال، فلقد أطلقوا على أحوال الناس كلمة

¹ - ابن عبد ربه، أحمد الأندلسي، العقد الفريد، ج1، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الكتاب العربي بيروت، ص 89 .

² - عيسى علي العاكوب ، التفكير النقدي عند العرب ، ص 109 .

"طبقات وبالتالي أصبحت كل حال مفردة "طبقة" فقالوا: "فلان من الدنيا على طبقات شتى أنه ذو أحوال ومذاهب مختلفة".¹

والحقيقة أن كلمة "طبقة" موجودة في كلام العرب منذ القديم، وقدمها قدم اللغة ذاتها، ولكنها تطورت مع الزمن وأخذت مدلولات متعددة في حياة العرب ولكن صار لهذه الكلمة مجاز آخر عند الكتاب والمؤلفين حين جاء عصر التكوين فتناوله المؤلفون والكتاب في مختلف العلوم والفنون " ² ومن هنا فالطبقة في مفهومها العام تعني الموافقة والمشابهاة وهذا ما لاحظناه في كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي.

ثانيا : تعريف المؤلف (ابن سلام الجمحي)

1/مولده وحياته:

هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سلام الجمحي مولى قدامة بن مضعون، ولد في البصرة سنة 139 هـ ،وتوفي في بغداد سنة 231 هـ وقبل 232 هـ ، عمر نحو من ثلاث وتسعين سنة ³ من علماء أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري ،نشأ في البصرة بيئة علماء العربية الأوائل وفحولها والتقى كثيرا من علماء اللغة والنحو ورواة الأدب والأخبار الثقات،"وسمع شيوخ العلم والحديث والأدب،وسمع منه شيوخ العلم والحديث والأدب"⁴ وما يلاحظ في ميلاد ابن سلام وحياته هو اتفاق كل من الدكتور محمود الريدائي في مقدمة طبقات الشعراء ومحمود محمد شاعر في تحقيقه لكتاب طبقات الشعراء في التعريف الموجز بهذا الرجل ،مما يوحي بشح المصادر فيما يتعلق بالتعريف به،حيث يقتصر الحديث عن سنتي ميلاده بالبصرة ووفاته ببغداد ،أما ما بين هاتين السنتين وكيف قضى ابن سلام عمره الذي امتد ثلاثا وتسعين سنة ،فلا نستطيع أن نعرف

¹ - جهاد المجالي، طبقات الشعراء في النقد الادبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، مكتبة الرائد العلمية عمان-الاردن، ط1992، ص1، ص19

² - ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاعر مطبعة المدني القاهرة مصر - ط2، 1974، ص66

³ - ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء ،تقديم وشرح محمود الريدائي، مكتبة دار الفتح،دمشق ط 1 ،1969، ص 2

⁴ - المصدر نفسه ،ص11

أكثر من أنه تعلم وعلم، سمع وروى، عدى هذا نجد بعض الإضافات التي يضيفها محقق كتاب طبقات فحول الشعراء "محمود محمد شاكر" حيث يقول "وكان ابن سلام من أهل بيت لهم في العلم باع، فأبوه سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحي، روى عنه في مواضع كثيرة من كتابه وأخوه عبد الرحمان بن سلام أحد رواة الحديث، روى عنه مسلم وأبو زرعة وأبو حاتم... وأبو خليفة الجمحي هو ابن أخت محمد بن سلام"¹

هذه الإضافة من محقق الكتاب لا تزيد على أن تقيم رباطا من الصلة بين ابن سلام وبين العلم، لروايته عن أبيه وهذا ما نجده بكثرة في الطبقات ولكون أخيه من رواة الحديث، وقد اشتهر بسعة علمه وصدق روايته، "وقد سمعه كثيرون عدوا من أئمة العلم في عصرهم ومنهم أحمد بن يحيى ثعلب، والرياشي والمازني، وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وأبو خليفة الجمحي"² إضافة إلى قول "محمد الريداوي" من شيوخة الأصمعي، بشار بن برد وخلف الأحمر وأبو عبيدة معمر بن المثنى ومروان بن أبي حفصة، والمفضل الضبي الكوفي ويونس بن حبيب وغيرهم كثير"³ غير أن الملاحظ أن من بين شيوخة يبرز على الخصوص الأصمعي وخلف الأحمر ويونس بن حبيب وأبو عمرو بن علاء، وبروز هؤلاء الأشخاص وتأثيرهم في ابن سلام يساعدنا على تبين موقعه منهم، فهو الذي حاول أن يكمل مهمة خلف الأحمر في رواية الشعر بتضمينه كتابه عددا من الشعراء المشهورين وهو الذي أكمل عمل الأصمعي في اعتبار الفحولة مقياسا نقديا.

وكل هذا دليل على إصرار ابن سلام على التعلم عن طريق السماع واثبات الرواية "فهو أحد الإخباريين والرواة، كما قال فيه صاحب الفهرست، ومن جملة أصل الأدب كما قال فيه الانباري صاحب كتاب نزهة الألباء في الأندلسي، صاحب طبقات النحويين و اللغويين في الطبقة الخامسة من اللغويين البصريين"⁴ وبذلك يعتبر ابن سلام أحد كبار نقاد الشعر ويتضح ذلك من خلال مؤلفاته.

¹ - المصدر السابق، ص 11.

² - عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، ص 107.

³ - ابن سلام الجمحي، مقدمة طبقات فحول الشعراء، تقديم محمد الريداوي، ص 03.

⁴ - محمد بن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، إعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي دار النهضة العربية للطباعة والنشر ط بيروت، د ت، ص: (المقدمة)

2/ مؤلفاته: لقد ذكر ابن النديم في الفهرست هذه المؤلفات لابن سلام :

-كتاب الفاصل في ملح الأخبار والأشعار.

-كتاب بيوتات العرب.

-كتاب طبقات الشعراء الجاهليين .

-كتاب طبقات الشعراء الإسلاميين.

-كتاب الحلاب وأجر النخيل.¹

وذكر له ياقوت الحموي في معجم الأدباء كتابين هما :-طبقات الشعر.غريب القرآن.²

رغم الاختلافات التي دارت حول حقيقة وجود هذه الكتب إلا أننا نجد أشهرها كتاب طبقات فحول الشعراء الذي أظهر فيه ابن سلام ناقدا أدبيا متميزا وهذا ما سنوضحه من خلال مؤلفاته.

ثالثا:تعريف المؤلف (طبقات فحول الشعراء)

يعتبر من أهم وأبرز المؤلفات في تاريخ الأدب العربي القديم، سواء تعلق الأمر بناحية الشكل أو ناحية المضمون.

أ-الناحية الشكلية : وسنركز في هذا العنصر على طبقات الكتاب وأشهر ما اعتمده أهل العلم .

1/طبعة يوسف هل : ظهرت هذه الطبعة باسم طبقات الشعراء لأول مرة بمطبعة بريل في مدينة لندن سنة 1913م والتي جاء في مقدمتها الألمانية صفحة 19 أنها مأخوذة عن مخطوطة نسخت عن مخطوطة شيخ الإسلام³ وعدد صفحاتها 154 صفحة .وقد اعتمد الكاتب لإخراج الكتاب على نسختين من كتب محمد محمود بن التلاميذ التركيبي الشنقيطي، وتكرر طبع الكتاب .

¹ - عيسى علي العاكوب،التفكير النقدي عند العرب ص 108.

² - المرجع نفسه ،ص108.

³ - محمد بن سلام الجمحي ،طبقات الشعراء ،إعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي ص: ث

النسخة الأولى كتبت سنة 1303هـ وهي محضوذة بدار الكتب المصرية تحت رقم (36) أدب ش) وهي منقولة عن النسخة الأصلية بمكتبة شيخ الإسلام عارف بك بالمدينة المنورة.

أما النسخة الثانية: كتبت سنة 1310 هـ، محفوظة تحت رقم (37) أدب ش وهي أيضا منقولة عن نسخة المدينة¹

تعرضت طبعة يوسف هل للنقد نظرا للخلط والعبث في تسمية الكتاب أو في ترتيب الأخبار والتعليق عليها.

2/ طبعة حامد عجمان الحديد الكتبي :

صدرت عن مطبعة السعادة سنة 1920 م واعتمد في إخراجها على النسخة الأوروبية والمخطوطين السابقين الذكر، وتكرار طبع الكتاب مرات عديدة.

3/ طبعة محمد محمود شاكر :

الطبعة الأولى: صدرت عن دار المعارف سنة 1952 م تحت عنوان "طبقات فحول الشعراء" واعتمد فيه على الكتاتيب السابقين وما نقله في أيام شبابه عن المخطوطة الأصلية المقدرة بـ 69 ورقة، أما الطبعة الثانية : صدرت عن دار المعارف سنة 1974م وكان للأساتذة أحمد راتب، شاكر الفحاح ، وناصر الدين الأسد دورا هاما وفضلا كبيرا في تصحيح الكتاب² كما يعترف بذلك محمود شاكر في مقدمته وقد قدم لكتاب طبقات فحول الشعراء الكاتب محمود شاكر بمقدمته طويلة شملت 64 صفحة فبعد الصفحة الأولى التي تحمل عنوان الكتاب (طبقات فحول الشعراء) واسم ابن سلام وسنة ميلاده ووفاته ثم البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) أما باقي الصفحات والى حدود رقم 521 احتوت على نصوص أما أخبار الرواة وبأسانيد على طريقة القدامى ورواة الحديث (عن النبي صلى الله عليه وسلم) أخبرنا فلان قال : وأنبأنا فلان عن فلان قال سمع فلان الخ.....³

¹ عبد الحميد حادوش، قراءة في كتاب طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ، مجلة أنهار الأدبية 2014/6/8، ص5.

² - المرجع نفسه ، ص 6.

³ - المرجع نفسه ، ص 7.

وقد تذكر السنة أو يسقط اسم راوٍ، أو جزء منه فيشار إلى ذلك بنقط وهذا ما يسمى بالرواية المتقطعة أو بسند براو مهمل.

وأما أن تكون نصوصا هي اصطراد لكلام ابن سلام وآراءه دون سند أو شعر. وفي النصوص علامة [...] إشارة إلى زيادة، أما من نسخة المدينة أو مصادر أخرى يشير إليها في التعليق وقد تكون هذه الزيادة حرفا، كلمة، جملة أو أكثر ويشير إلى بداية ورقة المخطوطة بخط مائل / أو خطين مائلين // إلى نهاية الورقة وهي الطبعة الرائجة في الوطن العربي أكثر من غيرها

وهكذا نكون جميع النسخ المذكورة مأخوذة عن نسخة شيخ الإسلام في المدينة المنورة وهي الأصلية التي رجع إليها جميع هؤلاء النساخ والمطابع.¹

ب/ ناحية المضمون: من خلال التأمل في كتاب ابن سلام نلاحظ أنه قسمه إلى قسمين رئيسيين: المقدمة والتمت.

المقدمة : حيث افتتح ابن سلام كتابه بمقدمة قيمة تعكس أهمية الكتاب، من خلال اهتمامه بالشعر العربي القديم وحيوان قائله وأحوالهم وكذا غايته ومنهجه وأهم القضايا الواردة فيه، وهذا ما سيتم التطرق إليه في الفصل الثاني من هذا البحث أما متن الكتاب نتناول فيه فكرة الطبقات كما سنوضحه في العنصر الآتي :

التمت: ويشتمل على 114 شاعرا جاء توزيعهم في الطبقات التالية :

طبقات الشعراء الجاهليين وهي عشرة:

الطبقة الأولى : امرئ القيس، النابغة الذبياني، زهير والأعشى

الطبقة الثانية : كعب بن زهير والحطيئة ..

الطبقة الثالثة : نابغة بني جعدة وأبو ذؤيب الهذلي والشماخ بن ضرار ووليد بن ربيعة .

الطبقة الرابعة : طرفة بن العبد وعبيد بن الأبرص وعلقمة بن عبدة وعدى بن زيد .

الطبقة الخامسة : خراش بن زهير والأسود بن يعفر وأبو يزيد المخبل وتميع بن أبي مقبل.

الطبقة السادسة : عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وسويد بن كاحل وسقط الرابع.

¹ محمد بن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، إعداد اللجنة الجامعية لنشر لتراث العربي ص : ث

الطبقة السابعة : سلامة بن جندل والحصين بن الحمام المري والمتلمس والمسيب بن علس الضبيعي .

الطبقة الثامنة : عمرو بن قميئة والنمرين تولب وأوس بن غلفاء الهجيمي وعوف بن عطية بن الخرع.¹

الطبقة التاسعة : ضايئ بن الحارس بن ارطاة البرجمي وسويد بن كراع العكلي والحويدرة الذبياني وسحيع عبد بني الحساس الأسد بين .

الطبقة العاشرة : أمية بن حرثان وحريث بن محفض والكميث بن معروف بن الكميث الاسدي وعمرو بن شاش بن أبي بلي الاسدي² وقد أضاف إلى هؤلاء :

أصحاب المراثي : وجعلهم الطبقة الحادية عشرة وهم :
متمم بن نويرة ،

الخنساء ،

أعشى بأهله عامر بن الحارث،

كعب بن سعد بن عمرو بن عقبة الغنوي .³

والخنساء هي المرأة الوحيدة التي أوردها ابن سلام في طبقاته⁴ أما شعراء القرى فذكر : المدينة ومكة والطائف واليمامة والبحرين .

شعراء المدينة :

حسان بن ثابت : من الخزرج

كعب بن مالك : من بني سلمة

عبد الله بن رواحة : من بلحارث من الخزرج

قيس بن الخطيم : من الأوس من بني ظفر

أبو قيس الاسات : من بني عمرو بن عوف

وأشعرهم حسان بن ثابت

¹ محمد بن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، ص ص :ث، ج(المقدمة)

² المصدر نفسه ،ص :ث، (المقدمة)

³ - المصدر نفسه ،ص ص :ج، ج(المقدمة)

⁴ - مجلة المخبر ،ابحاث في اللغة والأدب الجزائري -جامعة بسكرة -الجزائر .العدد العاشر 2014 ص 214.

شعراء مكة : وهم على التوالي : عبد الله بن الزبيري/ أبو طالب ابن عبد المطلب/ أبو سفيان بن الحارث/ مسافر بن أبي عمرو بن أمية/ ضرار بن الخطاب/ أبو عزة الجمحي واسمه عمر بن عبد الله عبد الله بن حزاقة السهمي/ الممزق هبيرة بن أبي وهب بن عامر¹

شعراء الطائف : وهم أبو الصلت بن أبي ربيعة/ وابنه أمية بن أبي الصلت وهو أشعرهم/ غيلان بن سلمة/ كنانة عبد ياليل.

شعراء البحرين : وهم المنقب العبدي وهو عائد بن محسن بن ثعلبة/ الممزق العبدي واسمه شاش بن نهار بن أسود/ المفضل بن معشر.

شعراء اليمامة : ولم يذكر ابن سلام ولا واحد منهم حيث قال :

" ولا أعرف باليمامة شاعرا مشهورا"²

رابعاً: مقاييس النقد عند ابن سلام

اعتمد ابن سلام في مفاضلته بين الشعراء وتصنيفهم في طبقات تبين مكانتهم الأدبية ومرتبته الشعرية على عدة مقاييس نذكر منها:

1/ الفحولة والمشابهة :

الفحول جمع فحل والفحل في اللغة الذكر من كل حيوان وإذا أرادوا القوة قالوا : فحل فحيل : أي كريم منجب في ضرايه ومن ثم استخدمت العرب كلمة فحل في كل ما يوجي بالغلبة والقوة³ وعليه ففحول الشعراء هم المبرزون منهم والمتفوقون حيث نجد ابن سلام يذكر هذا المقياس في قوله : فاقترضنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظراته، فوجدناهم عشر طبقات، أربعة رهط كل طبقة، متكافئين معتدلين⁴ فهو يصرح بأنه سيقترن على الفحول المشهورين، كذلك في حديثه عن الطبقة

¹ - المصدر نفسه، ص: خ

² - المصدر نفسه، ص: خ

³ - عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، ص 109.

⁴ - ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، ص 24.

الرابعة من الجاهلين في قوله : وهم أربعة رهط فحول شعراء¹ فالتشابه الملحوظ بين الشعراء قد يتجاوز الأربعة ، لكن الأخذ بمبدأ فصر الطبقة على أربعة قد يكون سببا في تأخير شاعر عن طبقة هو نظير لشعرائها فيقول ابن سلام عن أوس بن خجر : وأوس نظير الأربعة المتقدمين إلا أنا اقتصرنا في الطبقات على أربعة رهط².

وقد تبدو المشابهة رديفا لمقياس الفحولة ، حين ترتبط بالبيئة إذ يجعلها ابن سلام عنصرا من عناصرها ، فيميز بين شعراء البادية وشعراء القرى العربية .

و حين ننتقل إلى طبقة أصحاب المراثي على اعتبار أن الغرض الشعري مظهر من مظاهر هذه المشابهة ، نجد ابن سلام يقول : والمقدم عندنا متمم بن نويرة ويكنى أبا نهشل³ فالحديث عن مالك بن نويرة هو الذي يلتهم القسم الأكبر مما خصصه ابن سلام لهذه الطبقة ، كما نلمس اهتماما واضحا بقصة عمر بن الخطاب مع أخيه زيد ، وما شاع من حزن بالغ أبداه سيدنا عمر بن الخطاب عندما مات أخوه زيد بن الخطاب في حين يكتب فقط بالقول أن الخنساء بكت أخويها صخرا ومعاوية وأعشى بأهله رثى المنتشر بن وهب الباهلي ، والرابع كعب بن سعد الغنوي رثى أخاه أبا المغوار⁴.

ونجد مظهرا آخر للمشابهة يتمثل في دين الشاعر كجمع الشعراء اليهود في طبقة واحدة اشتملت على ثمانية منهم .

أما المشابهة الكبرى التي يعقدها ابن سلام فهي تلك التي يجريها بين عناصر الطبقة الأولى من الجاهليين ، وعناصر الطبقة الأولى من الإسلاميين حين يكون الفرزدق نظيرا لامرئ القيس وجريير نظيرا للأعشى والأخطل نظيرا للنابعة⁵ وتكون هنا المشابهة في الاتجاه أو في صفة علبت على هذا أو ذاك كأن يشترك الفرزدق مع امرئ القيس في فحشه ، وجريير مع الأعشى في تعاطيه لكل الأغراض وسهولة شعره والأخطل مع النابعة في إجادته مدح الملوك وجزالة شعره .

¹- المصدر السابق ، ص 137.

²- المصدر نفسه ، ص 97..

³- المصدر نفسه ، ص 204.

⁴- المصدر نفسه ، ص ص 210-212.

⁵- المصدر نفسه ، ص 66.

2/ الكثرة وتعدد الأغراض :

واعتمد ابن سلام على هذا المقياس في المفاضلة بين الشعراء فنراه جليا في غير موضع من كتابه ،من ذلك على سبيل المثال ما نراه في تبرير تأخر منزلة طرفة بن العبد وعبيد بن الأبرص وعلقمة بن عبده وعدي بن زيد ،إلى الطبقة الرابعة ،إذ يقول : " وهم أربعة رهط فحول الشعراء ، موضعهم مع الأوائل ، وإنما أخل بهم قلة أشعارهم بأيدي الرواة " ¹ أما فيما يخص تعدد الأغراض فنجدهم في مواضع عديدة من طبقاتهم ،من ذلك مثلا : ما نراه في تبرير وضع كثير عزة في الطبقة الثانية من فحول الإسلام ،وجميل بن معمر في الطبقة السادسة ، مع أن جميلا مقدم في التشبيب على كثير وعلى أصحاب النسب جميعا ،قال ابن سلام : " وكان لكثير في التشبيب نصيب وافر ، وجميل مقدم عليه - وعلى أصحاب النسب جميعا - في النسب ، وله في فنون الشعر ما ليس لجميل ، وكان جميل صادق الصباة ، وكان كثير يتقول ، ولم يكن عاشقا ، وكان راوية جميل " ² .

وتجدر الإشارة هنا أن الكثرة وتعدد الأغراض لا يمكن الاعتماد عليهما بصفة مطلقة كمقاييس نقديين لدرس الشعر وتقويمه ، وابن سلام نفسه قد أشار في مقدمته إلى قضية الانتحال والوضع في الشعر ، وأن الرواة لعبوا دورا خطيرا في الإقلال من شعر شاعر ، والإكثار من شعر غيره ،خدمة لأغراض معينة. لذلك فأهمية المقاييس تكمن في ارتباطهما بمقياس الجودة ، ومن هنا فان لمعيار الجودة اهمية كبيرة في المفاضلة بين الشعراء.

3/ الجودة

هي من أهم المقاييس التي اعتمد عليها ابن سلام في كتابه طبقات فحول الشعراء ، حيث يقول في موضوع الشعر المفتعل "وفي الشعر مصنوع ومفتعل موضوع كثير لاخير فيه ،ولا حجة في عربيته ولا أدب يستفاد ،ولا معنى يستخرج ،ولا مثل يضرب ،ولا مديح رائع ،ولا هجاء مقذع ،ولا فخر معيب ،ولا نسب مستطرف " ³

¹ - المصدر السابق ،ص137.

² - المصدر نفسه ،ص545.

³ - المصدر نفسه ، ص 4.

فابن سلام هنا حريص على أن يضيف إلى كل كلمة صفة ترفعها، وتحدد درجة التعامل معها فهو لا يريد أي هجاء، ولكن الهجاء الذي يقذف فيه الشاعر، ولا يريد أي مديح بل يحبذ المديح الرائع حيث "يعتقد ابن سلام أن الشعر الجيد يجب ألا يخرج عن كونه :

- حجة في العربية

- أدب يستفاد

- معنى يستخرج

- مثل يضرب

- مديح رائع وهجاء مفزع وفخر معجب ونسيب مستظرف مما يصلح لرواة الشعر الجيد في أغراضه المختلفة " ¹ قد تأتي الجودة من عناصر خارجية كالتعصب القبلي لشاعر معين فيقول ابن سلام " أخبرني يونس بن حبيب أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرئ القيس بن حجر وأحمل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى وأن أحمل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهير والنابعة " ²

فيقول ابن سلام هذا تمهيدا يعلل به سبب اعتبار كل فريق أن شاعره هو الأجود فيذكر: "فاحتج لامرئ القيس من يقدمه قال: ما قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعتها واستحسنتها العرب، واتبعته فيها الشعراء: استيقاف صحبه، والتباكي في الديار، ورقة النسيب وقرب المأخذ وشبه النساء بالطباء والبيض وشبه الخيل بالعصي والعقبان وقيد الأوباد وأجاد في التشبيه وفصل بين النسيب والمعنى" ³.

وفي الأخير نخلص إلى أن النقد العربي القديم قد استقام عوده على يد ابن سلام

الجمحي بعد أن كان انطباعيا من خلال وضعه منهاجا خاصا بتقسيمه الشعراء إلى طبقات معتمدا في ذلك مقاييس كانت أساسا للمفاضلة بين الشعراء.

¹ - عروة عمر، دروس في النقد الأدبي القديم ، ص 70 .

² - ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ص 52.

³ - المصدر نفسه ، ص 55.

أولاً : بنية المقدمة:

تشكل المقدمات في كتب النقد العربي القديم ، عتبات هامة يلج النقاد من خلالها إلى القضايا النقدية الكبرى عبر ثمات هامة ، تؤرق النقاد وتدخلهم إلى تقفي بنيتها وتتبع العناصر المشكلة لها.

مفهوم البنية :

أ/ المدلول اللغوي:

لقد اتفقت جل المعالم العربية على أن المعنى الأساسي للفظ البنية هو الهيئة والشكل والتأسيس ، فقد ورد في لسان العرب لابن منظور أن "البنية الهيئة التي يبني عليها...و. البنيانُ : الحائط " ¹

فالبنية في أصلها العربي القديم تتضمن معنى التشييد والتعمير والبناء والتركيب، وهذا ما نجده في المعجم الوسيط " بنى: الشيء بنيا وبناء وبنينا : أقام جداره ونحوه ، واستعمل مجازا في معاني كثيرة تدور حول التأسيس والتنمية ، (البنية) : ما بنى (ج) بنى وهيئة البناء " ² فمعنى البنية يتضمن التشكل والتشييد والبناء والتأسيس والتنمية.

ب/ المدلول الاصطلاحي : لقد تعددت الآراء حول تعريف البنية منها " أن تكون الأجزاء الموجودة في داخل جسد النص مرتبطة معا " ³

هذا التعريف يشير إلى خاصية الارتباط بين أجزاء النص فالبنية تمنحه ميزة التكامل والانسجام وهذا ما يركز عليه سعيد يقطين فيؤكد " أن النص الشعري بنية واحدة كبرى قائمة على التكامل والانسجام بين عناصرها ومكوناتها ووحدتها ، ويخضع هذا النص إلى

¹ - ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) ، لسان العرب (مادة بنى) ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ، ط 3 ، 2004 ، ص ص 160، 161.

² - مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، د ط . ج 1 ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول ص 72.

³ - فيصل صالح القيصري بنية القصيدة في شعر عزالدين المناصرة " ط 1 ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان الأردن 2006 ص 11.

عملية إعادة بناء جديدة ، بوصفه كلا في أثناء القراءة النقدية ، ويعني ذلك أن كل (بنيات) النص متكاملة ومنسجمة في حلق هذا البناء ، وإقامة هذا الشكل أو ذلك¹

فالتكامل والانسجام بين عناصر النص يكون بنية كبرى مترابطة، يصعب فصلها عن بعضها البعض وهو يخضع للتجديد بفعل النقد.

كل هذه التعريفات المتنوعة للبنية ، تكاد تتفق في أنها منظومة من العلاقات المتحدة فيما بينها بالانسجام والتكامل والتماسك بحيث يصعب فصلها عن بعضها البعض.

2- مفهوم المقدمة :

اعتاد القدامى التقديم لمؤلفاتهم بخطب و تمهيدات حيث كانوا يستعملون مصطلح خطبة لدلالة على المقدمة وهي إحدى عتبات النص الممهدة لقراءته
 ا/المدلول اللغوي: المقدمة لغة تعني مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة من قدم بمعنى تقدم وقد استعير لكل شيء فقيل: مقدمة الكتاب و مقدمة الكلام ...وقالوا: مقدمة كل شيء أوله ، وهي ما استقبلك من الجبهة و الجيش و المقدمة هي الناصية والقوائم:قديم من الأشياء²

وفي المعجم الوسيط قالوا : "والمقدمة من كل شيء أوله ومن الجيش طائفة منه تسير أمامه، ومنه يقال مقدمة الكتاب وأيضا مقدمة الكلام"³؛ فالدلالة اللغوية للمقدمة تعني اول الشيء وبدايته.

ب/المدلول الاصطلاحي: فقد تعددت تعاريفها حيث تعد بمثابة "خطاب نقدي يوضع في الأصل بمثابة عتبة تسهل للقارئ الولوج إلى العمل الأدبي بالتركيز على الفلسفة العامة للكتاب او الشاعر ، وربط بعض النصوص بمناسباتها تسهيلا على القارئ لفهم مضمونها ،ومحاولة الإطاحة بكامل مكونات النص الشكلية والمضمونية ، وشرح بعض غوامضه ورموزه...من اجل تشكيل رأي المتلقين و صياغة آفاق تلقيهم ، و توجيه قراءاتهم"⁴لذلك

¹ - المرجع السابق، ص20.

² - ابن منظور، لسان العرب، (مادة قدم)، ص466.

³ - إبراهيم أنيس و عبد الحليم منتصر، المعجم الوسيط، ج2، دارالمعارف بمصر، ط2، 1973، ص ص 719، 720.

⁴ - عبد الله العشي، زحام الخطابات، دار الأمل، تيزي وزو، 2005، ص237.

حضيت المقدمة بأهمية بالغة إذ "اعتبرت المدخل الرئيسي و الطبيعي إلى أغوار النص فضلا عن كونها تمثل كلا جامعا لعناصر وجزئيات عديدة...¹

ويعتبر جيرار جينيت المقدمة خطابا استهلاليا من خلال كتابه عتبات فيقول "بأنه ذلك المصطلح الأكثر تداولاً واستعمالاً في اللغة الفرنسية و اللغات عموماً ، فهو كل ذلك الفضاء من النص الافتتاحي / LIMINAIRE والذي يعنى بإنتاج خطاب بخصوص النص ، لاحقاً به أو سابقاً له"²

وقد وردت المقدمة متداخلة مع المصطلحات الأخرى كالتمهيد ، و المطلع و الفاتحة و التصدير و المدخل و الاستهلال .

فحسب جيرار جينيت فإن أهم الاستهلالات الأكثر دوراناً واستعمالاً هي المقدمة ، التمهيد، الديباجة، التوطئة، الحاشية،المطلع³ ففي حقيقة الأمر نجد أن مصطلح الفاتحة يختص بالدراسات القرآنية حيث يقولون فواتح السور.

أما مصطلحات " التمهيد " و "المدخل" و " التصدير" فغالبا ماترد متلازمة ولا تكاد في معناها العام تخرج عن مفهوم المقدمة، وان كنا نجد لدى بعضهم سعياً لتمييزها ، ففي الموسوعة الفلسفية لروزنتال ترجمت كلمة " propedantique " بكلمة " تمهيد" وتعني تدريب أولي ومنهاج تمهيدي ومدخل في علم من العلوم جرى التوسع فيه بشكل منهجي وموجز والتمهيدات تسبق الدراسة التفصيلية لفرع المعرفة المطابق والمنهاج المدرسي للفلسفة يسمى أحيانا التمهيدات الفلسفية أما " التصدير" في معجم المصطلحات العربية فقد جاء ترجمة للمصطلح الفرنسي **preface** وتعني كلمة يكتبها المؤلف في أول كتابه يعبر فيها عن ملاحظات شخصية موجهة إلى قارئ الكتاب .

وينتهي عادة بفقرة الشكر للأشخاص والفئات التي ساعدت المؤلف في بحثه .
وقد جرت العادة أن يكتب تصدير جديد لكل طبعة جديدة لمؤلف ينص فيه على ما في الطبعة الجديدة من اختلاف عن الطبعة السابقة عليها ولا يتعدى التصدير

¹ - عبد العزيز حسوس، نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ، منشورات الوراقة الوطنية ، ط1، مراكش ، المغرب 2008،ص35.

² - عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، الدار العربية للعلوم ، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2008،ص112.

³ - المرجع نفسه، ص112.

الصفحتين أو الثلاث في حين أن المقدمة قد تصل إلى طول فصلين من فصول الكتابة¹ ، في حين قد نجد أن لفظة "المطلع" و"الاستهلال" و "الابتداء" مرتبطة بالنصوص الشعرية العربية القديمة التي تعود فيها الشعراء على استهلال قصائدهم بمقدمات طلبية أو غزلية . ووصف الرحلة أو الراحلة قبل التخلّص إلى الغرض الرئيسي الذي قبّلت من أجله القصيدة وهذا ما نجده في مؤلفات النقاد القدامى فاللافت للنظر أن من بين هؤلاء النقاد من يستخدم تسمية واحدة في بعض كتاباته للتدليل على بدء القصيدة ، ومنهم من يستخدم تسميتين . فابن رشيق في كتابه العمدة يسمي بدء القصيدة بالمقاطع والمطالع ، ويرى من وجهة نظره أن المقاطع تعنى أواخر الفصول ، والمطالع أوائلها²

ثم يطالعنا ابن رشيق بمصطلح ثالث وهو "الابتداء" ويلزم به الشاعر كأداة فنية لنصه المنظوم فيقول : وينبغي للشاعر أن يوجد ابتداء شعره والمصطلح نفسه يستخدمه ابن منقذ في البديع، وابن الأثير في المثل السائر، والعسكري في الصناعتين، أما القرطاجني فيربط بين الاستهلال والمصطلح من أجل تجويد صنعة الشعر فيقول " وتحسين الاستهلال والمطالع من أحسن شيء في هذه الصناعة"³.

وما هو ملاحظ أن هذا التداخل في تعدد المسميات يكشف لنا عن نزعة فردية نقدية في تناول المصطلح وشيوعه والسبب في ذلك راجع إلى أنه بالرغم من التعدد اللفظي لهذه المسميات إلا أنها تعني شيئاً واحداً على مستوى التلقي هو البدء والبرهنة على ذلك تكون بالرجوع إلى معاجم اللغة لتقدم لنا قراءة معجمية للمفردات السابقة ، حيث نجد أن: **أ_ المعنى اللغوي للاستهلال** : مصدره الفعل " هَلَل " كما جاء في لسان العرب ؛ ويرمز إلى بداية الهلال وبداية المطر وبداية بكاء الصبي⁴.

ويطلق الزمخشري في أساس البلاغة لفظة الاستهلال على المطلع فيقول في مادة هَلَل (وأهل الصبي، واستعمل إذا رفع صوته مستهل قصيرة مطلعها)⁵

¹ - عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص، إفريقيا الشرق-المغرب-، ط1 ، 2000، ص ص 36،37.

² حسن إسماعيل، شعرية الاستهلال عند أبي نواس ، دار فرحة للنشر والتوزيع، المنيا، ط1 2003، صص14،13.

³ -المرجع نفسه، ص14

⁴ -المرجع نفسه، ص14.

⁵ -الزمخشري جار الله أبو القاسم، أساس البلاغة ، دار بيروت للطباعة والنشر ، لبنان، ط1،1992، ص 705.

أما الفعل (بدأ) فهو من حيث دلالاته ومصدره يدل على الابتداء في كل شيء، يقول الزمخشري: بدأ الله الخلق وابتداه، وكان ذلك في بدء الإسلام ومبتدأ الأمر، وأفعل هذا ويأدئ بدء وأفعله بدأ ما تريد أول شيء، وهاتها من ذي تبدئت أي أعد الكلمة أو القصة من أولها.

أما مادة (طلع) في لسان العرب، فتشير إلى بداية الطلوع للشمس والقمر والفجر والنجوم¹. وبناء على ما سبق نحن ندور في فلك قراءة معجمية واحدة أساسها البدء سواء أكان هذا البدء استهلالاً أم مطلعاً أم ابتداءً.

ب_ المعنى الاصطلاحي:

فقد ورد عند مؤلف كتاب "روضة الفصاحة" في الباب السابع والثلاثين تحت مصطلح المطلع "وهو أن يبتدئ الشاعر أول شعره والكاتب في أول رسالته بلفظ بديع مصنوع، ومعنى لطيف مطبوع ويحترز من كلمات يتطير بها أو يكون فيها ركافة، فإن المطلع أول ما يقرع السمع، وربما تفاعل به الممدوح أو بعض الحاضرين"². فبذلك ينبه إلى ضرورة تجويد الشاعر لاستهلاله فبحسنه يقبل المتلقي على سماع بقية أبيات القصيدة ويتطير وينصرف عنها إن كان خلاف ذلك.

كما ورد عند صاحب أنواع الريبع في أنواع البديع تحت عنوان حسن الابتداء وبراعة الاستهلال قوله 'قال أهل البيان من البلاغة حسن الابتداء ويسمى براعة المطلع، وهو أن يتأنق المتكلم في أول كلامه، ويأتي بأعذب الألفاظ وأجزلها وأرقها وأحسنها، نظماً وسبكاً، وأصحها مبنى، وأوضحها معنى، وأخلاها من الحشو والركة والتعقيد، والتقديم والتأخير الملبس والذي لا يناسب.....'³

¹ - حسن إسماعيل، شعرية الاستهلال عند أبي نواس، ص 15.

² - الرازي أبو عبد الله محمد بن بكر، روضة الفصاحة، دار وائل للنشر، ط1، 2005، ص154.

³ - علي بن معصوم المدني، أنوار الريبع في أنواع البديع، بيروت د. ط ج 1، مطبعة النعمان، ص34.

وهكذا ترتبط بمفردة الاستهلال قيمة براعته في الشعر، وهو أن يكون ملمحا لغرض القصيدة ببراعة دون تصريح وعليه فالمقدمة بصفة عامة استهلال وفتحة وتمهيد وديباجة وتدبير وتنبيه وأخبار وأعلام وأشعار وإخطار وتسبيق¹.

أما فيما يخص بروز مصطلح العتبة النصية في النقد الحديث فلا يحو ما قام به النقاد في تثبيت أركان ودعائم المصطلح من خلال إشاراتهم وتوجيهاتهم النقدية وهذا ما سنبينه في العناصر اللاحقة.

3- أنواع المقدمات:

وبعد أن استقرينا مجموعة من الكتب النقدية وجدنا أن المقدمة ثلاثة أنواع :
موسعة، و مضيق و مضافة .

أ- المقدمات الموسعة:

سميت بالموسعة لأن المؤلف أحاط فيها بجميع مكونات الخطبة، كما أن المؤلف وسع فيها دائرة الحديث " عن جميع الاضاءات التي من شأنها أن تقدم بين يدي القارئ معرفة إجرائية يستغلها في فهم المتن، وهذا الضرب من المقدمات كثيرة في مؤلفات القدامى ، خاصة المتأخرين الذين انتهت إليهم صنعة التأليف بتفاصيلها وقواعدها، ونادرا ما وجدنا مقدمة موسعة في المراحل الأولى لبداية التأليف خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين"² .

ب- المقدمات المضيق:

سميت بالمضيق لأن المؤلف ضيق فيها مساحة البحث، وجاء حديث المؤلفين بخصوص هذا النوع من المقدمات مقتصر على أمور ثلاثة: دواعي التأليف وجنسه و خطته، ومن المؤلفين من اقتصر على المكونين الأولين دون الثالث إضافة إلى البسمة

¹ - عبد النبي ذاكر، عتبات الكتابة. مجموعة البحث الأكاديمي في الأدب الشخصي، دار وليلي للطباعة والنشر، المغرب ط1، 1998، ص 77.

² - مصطفى سلوى، عتبات النص. المفهوم و الموقعية والوظائف، منشورات الآداب، رقم 71، المغرب 2003، ص

والحمدلة والتصلية أو دونها، وهذا الضرب من المقدمات هو الذي صاحب المراحل الأولى لحركة التأليف عند العلماء القدامى ، ووجدنا أيضا عند كثير من المتأخرين ممن أوجزوا إيجازا مخلا في كتابة مقدمات كتبهم¹

ج- المقدمات المضافة:

سميت بالمضافة لكونها أضيفت إلى الكتاب ولم تكن واردة فيه ، ذلك أن كثيرا من العلماء القدامى في هذه "الصناعة كانوا يعتمدون نهج الإملاء في تعليم طلبة العلم فلم تسعفهم الوسيلة في تدوين أمانيتهم أو لم يمنحك الله سبحانه بسطة في العمر للقيام بذلك، فتولى تلامذتهم جمع تلك الأمانى ووضعوا لها مقدمة ويبقى الصدر الأول من زمن حركة التأليف مجال هذا النوع من المقدمات وهي قليلة جدا"².

والملاحظ هنا أن النوع الأول والثاني هما اللذان احتوت عليهما المقدمات القديمة، لكن تبقى القراءة الفعلية والجيدة هي التي تحكم بين هذه المؤلفات، كذلك أن شعرية القراءة لهذه المقدمات "هي تحويل الكتابة من مكان اكتشاف، وأدوات اكتشاف وعلامات اكتشاف أيضا"³ .

¹ - المرجع السابق، ص 25.

² - المرجع نفسه، ص ص 25، 26.

³ - ادونيس، كلام البدايات، دار الآداب، بيروت، ط1، 1989 ، ص 37.

3-وظائف المقدمات:

إن وظائف المقدمات متعددة باعتبار الغايات التي يرمي الكاتب أو المؤلف إلى تحقيقها، ويمكن حصر هذه الوظائف فيما يلي:

أ- الوظيفة التأصيلية:

وهي الوظيفة التي يعرب عنها السؤال التالي: (لماذا ألف المؤلف هذا الكتاب؟) " فهي التي تعرب عن لماذا؟. هذه التي يطرحها المؤلف كما يطرحها القارئ كل في زمانه والظروف التي صاحبت اهتمامه بموضوع الكتاب. وتتمحور الوظيفة التأصيلية حول مجموعة من معينات القراءة التي يأتي بها المؤلف في مقدمته ، على رأسها الدواعي الذاتية والموضوعية التي دفعته إلى الكتابة ، وجنس التأليف وزمانه ومكانه وأصوله بالإضافة إلى إشارة المؤلف في مقدمته إلى أهمية موضوع تأليف وجدته¹.

ب_الوظيفة الايصالية:

وهي الوظيفة التي يقوم عليها فعل التواصل بين المؤلف والمتلقي المفرد الذي ألف له الكتاب"والمتلقي الجمع الذي اهتم في زمن ما بقراءة ذلك الكتاب، وهذا المتلقي الجمع فريقان: متلق جمع قريب وهو المتلقي المعاصر لزمن الكتابة ومتلق جمع بعيد، وهو نحن الذين ورثنا بعد فترة قراءة الكتاب والاهتمام بموضوعه وتدور هذه الوظيفة الايصالية بعد هذا حول السؤال: (لمن ألف المؤلف هذا الكتاب؟) والإشارة هنا قائمة حول الداعي الذاتي الذي كان من وراء فكرة التأليف، وهذا الداعي يجسد فكرة التواصل بين المرسل للنص والكتاب وهو شخص المؤلف، والمرسل إليه وهو شخص المتلقي الذي أمر أو أشار أو رغب المؤلف في تأليف ذلك الكتاب، كما تظهر هذه الوظيفة من خلال معين آخر اهتم بإيراده كثير من العلماء المسلمين القدامى في مقدماتهم، وهو بعض التوجيهات التي كان يأتي بها المؤلف يثير من خلالها انتباه القارئ إلى بعض الخصوصيات في كتابه².

¹ - مصطفى سلوى: عتبات النص ، المفهوم والموقعية والوظائف، ص27.

² - المرجع نفسه، صص، 27، 28.

ج- الوظيفة التفصيلية:

وتسمى كذلك بالوظيفة التنظيمية أو التنسيقية أو التفسيرية وهي التي يعرب عنها السؤال (كيف ألف المؤلف هذا الكتاب؟) ونظير هذا في زمن القراءة هو: (كيف نقرأ هذا الكتاب؟).

وسميت بالتفصيلية لأن المؤلف يلجا فيها إلى " تفصيل أغراض الكتاب ومقاصده وكيفية تأليفه . فهو هنا يضع بين يدي القارئ مجموعة من مفاتيح القراءة التي تساعده على حين التتبع والادراك السريع للفوائد التي ينطوي عليها الكتاب، ومن ابرز معينات هذه الوظيفة في خطاب المقدمة ، اهتمام المؤلف بعرض خطته في التأليف ، وتعداد الأقسام والأبواب والفصول والتوسع في شرح عنوان التأليف وتبيان الغاية من اختياره دون غيره ، وليس هناك مؤلف لا يضع في اعتباره مجموع هذه المعينات قبل الإقبال على التأليف، والقارئ بدوره يحتاج إليها حتى تتم الفائدة والمقصد من ذلك التأليف¹.

ونعتقد أن على كل من يكتب أن يطرح على نفسه سؤال لمن؟ ولماذا؟ يكتب الأديب وكيف نكتب؟ قبل الإقدام على فن الكتابة ' لأن ذلك قد يوضح للكاتب الخط العام الذي ينبغي أن تسير فيه أفكاره في إطارها المخصص والمناسب ونحن نعرف عهد الكتابة من اجل الكتابة قد ولى ، وحل محله عهد عادت فيه الكتابة رسالة يحملها الأديب ودورا يلعبه لتعليم المجتمع أسس الفهم والنجاح في الوصول إلى النقطة الرئيسية للموضوع.

أين يتواصل كل من الكاتب والقارئ أو المرسل والمستقبل من أجل غاية مشتركة² والإجابة على سؤال : كيف نكتب؟ تكون من خلال الأسلوب الذي ينبغي أن يستخدمه الكاتب الأديب في أعماله الفنية ن وهنا نتحدث عن الجوانب الفنية في عمل الكاتب وليس عن صعوبة وسهولة اللغة والأسلوب ، لان المتلقي في أغلب الأحيان ينتقي ما يعجبه وما يراه مناسباً له بدء من نوع الكتابة وأسلوبها والطريقة في إبداء الحجج والإثباتات وكذا الإقناع الأدبي الذي يحتاج هو الآخر إلى الدقة والنظر غير المحدود،

¹ - المرجع السابق، ص28.

² - محمد مصاييف ، دراسات في النقد والأدب ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981، ص 211.

وكذا إلى الخبرة في الحياة وعمقها وهنا تكون الموضوعية عنصر لا بد منها، فهي تخاطب العقل والضمير والنفس في هدوء وإقناع.....¹.

ويعتبر كل من التركيز في التعبير والإيحاء في الكلمات ضروريان في تفكير القارئ وتكوينه الشخصي ، وهما من شروط الكتابة الناجحة وذلك من خلال عمق الفكرة التي يقدمها الكاتب الهادفة إلى النجاح .

وهذه العناصر التي تربط النص ببعضه البعض، وتوحد الكاتب بمتلقيه هي مرتبطة أساسا بمجموعة الوظائف التي تحققها المقدمة داخل البحث والتي يمكن حصرها في:

- إخبار القارئ عن أصل الكتاب وظروف تأليفه وتحريزه وعن مراحل تكوينه.
- التصريح بالقصد ويعد من أهم الوظائف فهو يعطي تأويلا للنص ويعلن عن مقصد صاحبه وكذا شرح الأسلوب المتبع في دراسة الموضوع.
- التعليق على العنوان وتبرير طوله وقصره ووضع.
- تقديم نبذة عن الأبحاث السابقة التي عالج فيها أصحابها نفس الموضوع.
- التعريف الجنسي: وهو "من وظائف الاستهلال الموضوعاتية والشكلية فيحدد طبيعة العمل إن كان تاريخيا ، فلسفيا ، روائيا أو شعريا أو مسرحيا"² .
- تقديم شرح قصير عن كل فصل أ، جزء من الدراسة حسب التسلسل الموجود فيهما مع التركيز على النقاط الرئيسية التي تم التعرض لها في ذلك الجزء من الدراسة³ .
- تلك أهم الوظائف التي احتوتها المقدمة وهي مرتبطة أشد الارتباط بمعينات التأليفات والقراءات التي تعد دائما مرجعا وهدفا لكل مهتم بالأدب العربي القديم .

¹- مصطفى سلوى: عتبات النص ، المفهوم والموقعية و الوظائف ، ص214

²- عبد الحق بلعابد : عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص ،ص121.

³- عمار بوحوش: دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،

5- أنواع الاستهلال:

أ/ الاستهلال الواقعي:

وهو الاستهلال الذي يكون فيه المستهل شخصا واقعيًا ، وهو صاحب العمل ، وفيه إسناد مهمة التقديم إلى شخصية واقعية وحقيقية¹ .

ب/ الاستهلال التخيلي:

وهو الذي يقوم به شخصية تخيلية يسند لها الكاتب وضع الاستهلال وقد يكون الاستهلال بشخص آخر غير صاحب العمل، وهو حقيقي غير متخيل فتكون المقدمة - غير ذاتية ويقوم بها الكاتب لمطارحة قضايا فنية وجمالية وهذا الشخص يكون²:

1- **ناقدا متخصصا:** حيث ينجز مقاله حول الكاتب-العمل- بأسلوب ناقد متخصص أو أديب متذوق، ومن ذلك ما ذكره عيسى مخلوف على رواية " وقائع حارة العفراني " الكاتب المصري جمال الغيطاني احد أكبر الكتاب العرب المعاصرين نتاج جمال الغيطاني يطرح نوعا من القطيعة مع الرواية الكلاسيكية العربية من اعتماده على شكل روائي مفتوح ، يأخذ رائحة من الواقع ولا يتقيد بالواقع، يمزج بين الخيالي والمعاش، تغيب عنه الحبكة والعقدة والحل، تغيب وحدة الزمان والمكان يقترب النثر من الشعر ليتكون نص مغاير للصيغة التقليدية في الكتابة العربية .

2- **روائيا:** لا يلجأ إلى أدوات نقدية صريحة، وإنما إلى حسه الجمالي ، فيكون تقديمه نصا إبداعيا يقف فيه على مواطن الجمال³ .

ج/ **الاستهلال المزيف :** هو الذي ينسب بالخطأ إلى شخص واقعي⁴ تتضح أنواع الاستهلال من خلال المقدم الذي قدم الكتاب فان كان صاحب التأليف فهو استهلال واقعي، وان كان غيره فهو استهلال غيري يتحدد في اتجاهين:

¹- عبد الحق بلعابد : عتبات جبرار جينيت من النص إلى المناص ،ص116.

²- شعيب خليفي، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل ، الدار البيضاء ، دط ، 2005،ص11.

³- المرجع نفسه، ص63.

⁴- عبد الحق بلعابد : عتبات جبرار جينيت من النص إلى المناص ،ص116.

إما تخيلي يختاره الكاتب نفسه بقصد بسط نوع من الحورانية وبين الشخصية المتخيلة المختارة.

وإما حقيقي واقعي يستهل الكاتب بخطاب مقدماتي مبرزا مميزات الأدبية وسماته الفنية معتمدا على أسلوبه النقدي أو على حسه الجمالي، وإن كان الاستهلال منسوب إلى شخص واقعي بالخطأ فهو الاستهلال المزيف والقارئ حين يقف على مقدمة العمل لا يجعل الاهتمام منصبا على نوع الاستهلال وإنما على المغزى منه والفائدة التي يقدمها له.

إن أنواع الاستهلال الثلاثة تفضي إلى أنواع أخرى يحددها الخطيبي في ثلاثة أنماط من التقديم في كتابات عبد الفتاح كيليطو.

- 1- مقدمة تقريرية: لا تضيف شيئا ويمكنها تكون تجارية وإشهارية تعمل على التوجيه وإعطاء حكم مسبق على القراءة ، وهو نوع يكتبه الناشر على الأغلب .
- 2- مقدمة نقدية : وهي تدخل في حوار مع الكاتب ، وتهدف إلى إبراز أصالة المكتوب بالدراسة التحليلية النقدية.
- 3- مقدمة موازية للنص: تكون مستقلة ومباشرة توجه الانتباه إلى الأسئلة المطروحة ، وتمتلك الأدوات التي تقترب بشكل مباشر من المتلقي.¹

1 عبد الفتاح الحجمري: عتبات النص في البنية والدلالة، منشورات الرابطة ، الدار البيضاء، ط1، 1996، ص24.

ثانياً: بنية المقدمة في كتب النقد العربي القديم

للمقدمة مكانة مرموقة في كتب النقد العربي القديم، حيث تحتل الصفحات الأولى من التأليف فقد تكون في صفحة واحدة أو تتعدى ذلك لتصل ثماني وأربعين صفحة، والمقدمة بدورها تتكون من عناصر صغرى، والتي عدها العلماء القدامى تمهيدا لما وضعوه من مؤلفات في شتى مناحي المعرفة .

هذه المعرفة التي تدخل في تركيبية بنيتها -بنية المقدمة- خمسة مكونات أساسية اعتبرت من البنى الهامة التي تقدم للنص قيمته وفاعليته من خلال هذا التضافر المنطقي والجمالي في عناصرها والتماسك المحكم بين كل جزء من أجزائها، هذه العناصر التي تتمثل في "البسمة والحمدلة والتسليم والتشهد" ويعتبر هذا القسم الركن الأساسي الذي يجب أن تقوم عليه كل مقدمة.

والمقدمة التي تخلو من مجموع هذه العناصر تعد بترأ أو شوهاء أو ناقصة من شيء كالخطبة البترأ التي سقط منها حمد الله والصلاة على رسوله الكريم "صلى الله عليه وسلم"¹

فهذا القسم يعتمد كل الاعتماد على هذه العناصر الخمسة والناظر والمتمعن في الواقع التطبيقي لهذه العناصر يجد أنها اجتمعت في خطب كثيرة ووردت متفرقة في خطب أخرى وذلك أن من العلماء القدامى من اكتفى بالبسمة دون الحمدلة والتسليم . كما فعل القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني في تقديمه لوساطته، قال "بسم الله الرحمن الرحيم"²

وكذلك ما جاء في نص المقدمة التي وردت في "الشعر والشعراء" لابن قتيبة³ والذي عليه الاجتماع في ترتيب هذه العناصر أن تأتي البسمة في المرتبة الأولى تليها الحمدلة ثم التسليم والتسليم ومن المؤلفين من فرق هذا النظام فقدم وآخر . ولا بأس في ذلك عند سائر العلماء وعلى رأسهم "الإمام أحمد بن علي القلقشندي" (ت 821 هـ) صاحب كتاب

¹- مصطفى سلوى: عتبات النص، المفهوم والموقعية و الوظائف، ص 29

²- الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز، الواسطة بين المتنبي ونضمه، تح وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي

محمد البجاوي، دار القلم بيروت -لبنان ص 1

³- عز الدين إسماعيل، المصادر الأدبية واللغوية، دار النهضة العربية بيروت -لبنان ص 216

" صبح الأعشى"والذي نظر لأكثر مقومات التأليف والكتابة الديوانية كما عرفها العلماء
القدماء"¹

1/ البسمة : والمقصود بالبسمة وكما هو معروف ومتداول لدى سائر العلماء واللغويين
وكل الناس أن نبدأ" بتسمية الله وذكره قبل كل شيء مستعينا به جل وهلا في جميع
أموري طالبا منه وحده العون فانه الرب المعبود ذو الفضل والجود"²

وفي الحديث الشريف عن هشام بن عروة بن أبيه أنه كان يكره أن يكتب كتابا أو
غيره حتى يبدأ ب (بسم الله الرحمن الرحيم) وعن سعيد بن جبير أنه كان يقول : لا يصلح
كتاب إلا أن يكون أوله (بسم الله الرحمن الرحيم)³ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد نهى أن يكتب في سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) كلام آخر،دعوة منه عليه الصلاة
والسلام إلى أفرادها في التأليف والكتابة والرسم ،قال صاحب "صبح الأعشى"ينبغي
للكتاب أن يفرد البسمة في سطر وحدها ،تجيلا لاسم الله تعالى وإعظاما وتوفيرا له"⁴

وذم سفيان الثوري المكاتبات التي لا تبدأ ب (بسم الله الرحمن الرحيم) فهو يفضل الابتداء
بها قبل كل شيء . عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (ص) قال "كل أمر ذي بال لا
يبدأ فيه ب (بسم الله الرحمن الرحيم) فهو أقطع"⁵ يعني أنه ناقص البركة.

وقال الصولي "سألت أبا خليفة" الفضل بن حباب الجرحى عن ابتداء الكتاب ببسم الله
الرحمن الرحيم فقال: سألت ابن عائشة عبيد الله بن محمد بن حفصة عن ذلك فقل حدثني
أبي أن قريشا كانت تكتب في جاهليتها "بسمك اللهم" وكان النبي صلى الله عليه وسلم
كذلك ثم نزلت سورة هود وفيها "باسم الله مجراها ومرساها"فأمر النبي (ص) بأن يكتب في
صدر كتبه "بسم الله"ثم نزلت في سورة الإسراء "قُل ادْعُوا اللَّهَ آو ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَا مَا

¹ - مصطفى سلوى: عتبات النص ، المفهوم والموقعية و الوظائف ،ص 30

² - المرجع نفسه، ص ص 30-31.

³ - الفلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ،ص208.

⁴ - المصدر نفسه ،ص 215.

⁵ - المصدر نفسه، ص 211.

تدعوا فله الأسماء الحسنى فكتب "بسم الله الرحمن الرحيم" ثم نزلت في سورة النمل "انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم"¹

فالبسمة تعد بركة وبداية طيبة تساعد الروح قبل القلم وخير دليل على ذلك كتاب الله عز وجل "القرآن" الذي جعل فيه سبحانه وتعالى وبحكمته الواسعة تقديمًا لكل آياته وسوره ب (بسم الله الرحمن الرحيم)، حيث نجد أن معظم المقدمات التي بين أيدينا قد حوت وتضمنت في صفحاتها الأولى على البسمة (بسم الله الرحمن الرحيم) وأولها سطرًا منفردًا وخاصة، فنجد ابن قتيبة في "الشعر والشعراء" يقول في الصفحة الثانية من مقدمته (بسم الله الرحمن الرحيم) وأيضا الجرجاني الذي قال في الصفحة الثالثة عشر من مقدمته (بسم الله الرحمن الرحيم) وغيرهم من الكتاب الذين أتت مؤلفاتهم وكتبهم موسومة بهذه البركة والبسمة التي لها دور كبير في افتتاح الكلام أو العمل بشكل جمالي ديني إبداعي.

2/ الحمدلة : هي نحت من الحمد لله "يقال تحمد تحمدا، أمين عليه وتكلف الحمد والحمد هو المدح والثناء ضد الذم، فهو محمود وحمود وحمدل: قال الحمد لله" وتأتي الحمدلة في المرتبة الثانية بعد البسمة، قال القلقشندي: "وأتوا بالحمد لله بعد البسمة تأسى بكتاب الله تعالى من حيث أن البسمة آية من الفاتحة كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه أو فاتحة لها"² وجاء في لسان العرب "الحمد نقيض الذم ويقال حمدنه على فعله ومنه المحمدة خلاف المذمة، قال الاخفش: الحمد لله الشكر لله قال: والحمد لله الثناء: قال الأزهري: الحمد قد يكون شكرا للصنعة ويكون شكرا للنعمة التي شملت الكل والحمد أعم من الشكر"³

وجاء عند ابن جرير الطبري أن " الحمد لله ثناء أثنى به على نفسه، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه، فكأنه قال: قولوا الحمد لله، وقد قيل أن قول القائل الحمد لله ثناء عليه بأسمائه الحسنی وصفاته العلی وقوله الشكر لله ثناء عليه بنعمة وأياديه"⁴ أما الإمام

¹ - حسين خمري. نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ط1 الجزائر 2007، ص123.

² - القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ص212.

³ - ابن منظور، لسان العرب، ص155 (مادة حمد)

⁴ - الطبري، أبي جعفر ابن جرير، جامع البيان في تفسير آيات القرآن، دار الفكر بيروت 1978، ص32

عبد القاهر الجرجاني فاكتفى بقوله "الحمد لله رب العالمين"¹ وقال ابن جني في افتتاحية مقدمته: "الحمد لله الواحد العدل القديم"² ويتجه قدامه ابن جعفر البغدادي اتجاهاً آخر، فيفتتح مقدمته بالتصليية والتسليم ثم الحمد لله فيقول: "الحمد لله شكراً لنعمته واعترافاً بمنته، وصلى الله على محمد وعثرته* والأخبار من ذريته"³ ويختار ابن قتيبة أسلوبه الخاص في الحمد من خلال كتابه "عيون الأخبار" فيقول "الحمد لله الذي يعجز بلاؤه صفة الواصفين وتقوت آلاؤه عدد العادين وتسع رحمته ذنوب المسرفين والحمد لله الذي لا تحجب عنه دعوة ولا تخيب لديه طلبه... والحمد لله الذي ابتعث فينا البشير النذير السراج المنير هادياً إلى رضاه وداعياً إلى محلته ودالاً على سبيل جنته ففتح لنا باب رحمته وأغلق عنا باب سخطه"⁴ أما أبو العباس المبرد في كتابه "الكامل" يقول: "الحمد لله حمداً كثيراً يبلغ رضاه ويرجى مزيده ويجيز به من سخطه وصلى الله على محمد خاتم النبيين"⁵

في حين اكتفى ابن طباطبا العلوي في مقدمته كتابه "عيار الشعر" بقوله "الحمد لله رب العالمين"⁶

وجاء الأديب ابن عبد ربه الأندلسي في كتابه "العقد الفريد" أن: "الحمد لله الأول بلا ابتداء، الآخر بلا انتهاء، المنفرد بقدرته، المتعالي في سلطانه، الذي لا تحويه الجهات، ولا تتعته الصفات ولا تدركه العيون ولا تبلغه الظنون... وخلق الخلق من بين ناطق معترف بوحدانيته وصامت متخشع لربوبيته" ثم يردف فيقول: "أحمده على حلمه بعد علمه وعلى عتوه بعد قدرته فانه رضي الحمد ثمناً لجزيل نعمائه وجليل آلائه وجعله

¹ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح، عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت ط 1 2001، ص 13.

² - ابن جني، الخصائص، تح، محمد علي النجار، ج 1 دار الكتب المصرية بيروت، لبنان، ص 1

* عثرة الرجل نسله ورهطه وعثرته الأذنون ممن مضى وغير

³ - قدامى بن جعفر، أبي الفرج البغدادي، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1982، ص 3

⁴ - ابن قتيبة، عيون الأخبار، م 1، ج 1 دار الكتاب العربي بيروت، لبنان 1925، ص (ي)

⁵ - المبرد، أبي العباس، الكامل ج 1، تعليق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ص 6

⁶ - ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية بيروت ط 2 2005، ص 9

مفتاح رحمته، وكفاء نعمته وآخر دعوى أهد جنته بقول جل وعز (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)¹

ويكتفي كذلك أبو حيان التوحيدي في كتابه "الإمتاع والمؤانسة بالحمد" قائلاً: "الحمد لله رب العالمين"²

والحمد مطلوب في أوائل الأمور وخواتمها طلباً للتيمن والتبرك، كما أن من آداب الدعاء وأسباب الإجابة الإخلاص لله وأن يبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم بالصلاة على النبي (ص) ففي ذلك فضل عظيم.

3/التصليّة والتسليم: وتأتي التصليّة والتسليم بعد البسملة والحمد، والتصليّة من الصلاة وهي الدعاء وحسن الثناء والبركة من الله.

أما التسليم فهو رفع اليد لله سبحانه والانتقياد له تعالى في كل أوامره بدء من الإيمان برسول الله (ص) والتصليّة والتسليم عليه إذا ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم في كل قول وموضع.

والتصليّة مطلوبة وواجبة بحكم شرعي، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ * سورة الأحزاب الآية 56.

إن الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم تستتبع الصلاة والسلام على الآل والصحب وذهب القلقشندى إلى أن الآل هم أهل النبي (ص) وعائلته وكل من تربطه بالنبي (ص) أصرة الدم أو المصاهرة، أما الصحب فهم خلفاء الرسول (ص). وهكذا افتتح المبرد مقدمة كتابه "الكامل في اللغة والأدب" دون الصلاة على الآل والصحب قال: "الحمد لله حمدا كثيرا يبلغ رضاه ويوجب مزيده ويجير من سخطه وصلى الله على محمد خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلاة تامة زاكية تؤدي حقه وتزلفه عند ربه"³ أما عبد القاهر الجرجاني ففضل هو أيضا أن يصلي ويسلم على النبي (ص) في

¹ - ابن عبد ربه (أحمد الأندلسي)، العقد الفريد ج1، بتح محمد سعيد العريان، دار الكتاب العربي، بيروت ص1

² - أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ج1، شرح احمد أمين، واحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت،

لبنان، ط، ص1

³ - المبرد، الكامل، ص6.

مقدمة كتابه "أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز" قال: "الحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين"¹ وقال أيضا: "الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين وصلواته على محمد سيد المرسلين وعلى آله أجمعين"² وقال ابن قتيبة في مقدمة كتابه "عيون الأخبار": "صلى الله وملائكته المقربون عليه وعلى آله وصحبه أبدا ما طما بحر وذر شارق وعلى جميع النبيين والمرسلين"³

في حين افتتح أبو الفرج قدامه بن جعفر مقدمة كتابه "نقد النثر" قال: "صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم"⁴ وجاءت التصليية مباشرة بعد الحمدلة في مقدمة كتاب "الخصائص" لابن جني قال: "الحمد لله الواحد العدل القديم وصلى الله على صفوته محمد وآله المنتخبين وعليه وعليهم السلام أجمعين"⁵

أما ابن عبد ربه في "عقده" يقول: "وصلى الله على سيدنا محمد النبي المكرم، الشافع المقرب الذي بعث آخرا واصطفى أولا، وجعلنا من أهل طاعته وعتقاء شفاعته."⁶ وعليه فرغم تباين الأساليب والطريقة في عرض التصليية والتسليم على رسول الله (ص) من مؤلف إلى آخر إلا أنهما تعد من متطلبات العمل النثري وضرورية في عملية الكتابة الفنية .

4/ التشهد : ومن المؤلفين من جاء بالتشهد بعد الحمدلة إعلانا منهم لكلمة الإسلام الطيبة (أشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له) فالتشهد هو التماس الشاهد على الأمر وطلبه واسمي النطق بالشهادتين (أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله (ص) حيث قال القلقشندي في "صبح الأعشى: (أشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يوقع لصاحبها بالنجاة من النار ويكتب لقاتلها في ديوان الأبرار وأن محمدا عبده ورسوله الذي اعتزت لهيبته الأسرة وشرفت بذكره المناير وضافت عن درك وصفه

¹ - الجرجاني، أسرار البلاغة، ص13.

² -- الجرجاني، دلائل الإعجاز

³ - ابن قتيبة، عيون الأخبار، ص ي.

⁴ - قدامة بن جعفر، نقد النثر، ص3

⁵ - ابن جني، الخصائص، ص1.

⁶ - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص1.

الطروس ونفدت دون حياء فضله المحابر صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين قلدوا أمور الدين فقاموا واجبا¹

و التشهد تجديد لعقد الإيمان أمام الله سبحانه وتعالى بالإضافة إلى أنه ركن من أركان الإسلام ينفي الشرك بالله نفيًا قاطعًا مصداقًا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ * سورة آل عمران الآية 63. في حين يكفي بعض المؤلفين بالتصليية والتسليم دون تتبع هذه المراحل المتتالية في خطاب المقدمة، هذا ما قام به ابن قتيبة في كتابه "أدب الكاتب" قال: "والصلاة على رسوله المصطفى وآله"²

أما المرزوقي فقد افتتح خطبة مقدمته من خلال كتابة "شرح ديوان الحماسة" قال: "الحمد خالق الإنسان متميزًا بما علمه من التبيين والبيان وصلى الله على أفضل مدح بأمره زجرة، داعيًا ونهايًا وعلى الطاهرين من آله وسلم"³. كما أن ابن طباطبا في مقدمة كتابه "عيار الشعر" اهتم بالتصليية وحدها بعد الحمدلة فقط إذ نجده يقول: "الحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين"⁴. وبعد كل هذه العناصر يأتي المؤلف بكلمة (أما بعد) إعلانًا منه أنه انتهى من قسم ويود الانتقال إلى قسم آخر، هذه العملية التي تسميها بحسن التخلص أين يعتمد المؤلف هذه الكلمة أو العبارة لتسهل عليه الولوج في موضوعه وقضاياها وأيضًا ينتقل بها من حديث إلى حديث آخر حتى يتبين للقارئ أنه في صدد طرح فكرته وغرضه من ذلك الكتاب.

وفصل الخطاب يفصل بين البسملة والدعاء ونص الخطاب ويمكن اعتباره حدًا فاصلاً بين نصين. يروى أن أول من قال: "أما بعد" داوود عليه السلام، وأن ذلك فصل الخطاب الذي قال فيه الله عز وجل: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾ * سورة (ص)، الآية 20.

¹ - القلقشندي، صبح الأعشى، ص 29.

² - ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 1.

³ - المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، نشره أسد أمين وعبد السلام هارون م 1 دارالجيل بيروت لبنان، ط 1 1991 ص 2.

⁴ - ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، ص 9.

والعناصر الثلاثة التي تكون بداية الرسالة : البسمة والدعاء وفصل الخطاب: يمكن أن نعتبرها بدايات تتواتر في كل الرسائل والأعمال القديمة ، أما ما يأتي بعد هذه البداية فإنه متغير حسب الشخص الذي تكتب إليه الرسالة والغرض من كتابتها تلك أهم العناصر التي تكون منها خطاب المقدمة في قسمه الأول وهي عناصر توثق صلة العبد المؤلف بخالقه ودينه والجدير بالذكر أن خطاب المقدمة يتقاسمه انطلاقاً من مكوناته التسعة التي تم التنبيه عليها ،نوعان من الحوار موصوفان بتمام الحرية والوضوح الأول بين المؤلف وخالقه والثاني بين المؤلف والمتلقي الذي يتوجه إليه بالكتاب¹ ومن هنا تكون المقدمة تلك المساحة الحرة التي يتصل فيها المؤلف مباشرة بقارئه ومتلقيه بعيداً عن ثقل موضوعات الكتاب ومصطلحاته وأفكاره وبناء العميقة الضاربة في الأصول .

كما تدخل في تشكيل بنية المقدمة عدة عناصر، ساعدت العلماء القدامى على تحديد أعمالهم وفق ما اختاروه وانتقوه من علوم تهم القارئ بالدرجة الأولى وحسب ما يتماشى مع متطلبات العصر:

5/ دواعي التأليف :

ويعتبر هذا العنصر مهم جداً في تحديد أهداف الكاتب وموضوعاته وأفكاره وهو من المكونات الأساسية الحاضرة في نوعين من المقدمات هما: المقدمات المضيقية والمقدمات الموسعة ولا يمكن لهذا العنصر أن يكون في المقدمات المضافة لأن المؤلف هو الشخص الذي يعرف وحدها لأسباب التي كانت من وراء تأليف كتابه وما دام المؤلف في المقدمات المضافة شخصية غائبة فلا يمكن لمن قام بجمع الكتاب الإتيان بهذا الأمر "ودواعي التأليف هو المكون الأول ضمن القسم الثاني من المقدمة ،هذا ما جرى عليه أكثر العلماء القدامى إلا أن الاختلاف في الآراء في أفضلية السياق بين جنس التأليف والدواعي وهذا قليل لا يقاس عليه والناظر فيما تركه العلماء المسلمين القدامى من تأليف لا يسعه إلا أن يميز في هذه الدواعي التي كانوا يقدمونها بين يدي قراءهم بين نوعين اثنين :أسباب ذاتية حقيقية وأسباب ذاتية متخيلة ،ثم تأتي الأسباب الموضوعية وهي كل ما تعلق بموضوع التأليف أو جنسه أو فكرته"² ويمكن القول أن كل هذه التأليف لها

¹- مصطفى سلوى. عتبات النص. المفهوم والموقعية والوظائف ،ص 37

²- المرجع نفسه، ص ص 37-38.

أسباب معينة دفعت أصحابها إلى النظر مليا والتفكير مطولا فيما دونه وأفادوا به لأن لهذه الكتابة أيضا أسباب " حملت العلماء على العناية باللغة " وأمور أخرى وعندما اتجهوا إلى التأليف اللغوية قصدوا إلى أخذ الصحيح وتحريه وبالغوا في الحيطة والحذر وقصدوا أيضا إلى حشد كل ما وصل إلى علمهم¹.

فالعلماء القدامى اتخذوا قاعدة لانطلاقهم في الكشف عن بنية المقدمات والتي هي بدورها تساعد كل مهتم على "اكتساب أسرار الإبداع ترسلا ونظما وخطابة يغذيها بما يتاح له من معايشرة النصوص الشعرية القديمة والحديثة وما حفظ من كتاب الله عز وجل وأحاديث رسول الله (ص) وما قرأ من مكاتبات البلغاء والفصحاء وما استمع من خطب ومناظرات إذ هي الكفاية الضرورية لكل من رام فعل الكتابة أو أراد أن يتخذها حرفة"²

و المقصود بدواعي التأليف أن يحرص المؤلف على تعداد الأسباب المادية والمعنوية الذاتية وأيضا الموضوعية التي حفزته على تأليف الكتاب فأما الأسباب الذاتية فهي كل ما ارتبط بشخص المؤلف بالإضافة إلى الذات التي يذكر أنها دفعته إلى التأليف والغالب أن تكون هذه الذات الخارجية، هي محور الداعي الذاتي، فيذكر المؤلف أن سلطانا من السلاطين أو خليفة أو أميرا أو صديقا أو جماعة من المتأدبين أو العلماء هم الذين حثوه ودفعوه إلى تأليف ذلك المؤلف ومن خلال المقدمات التي بين أيدينا نجد أن هذا الحديث عن الذات الخارجية قد يكون حقيقيا وهو الغالب وقد يكون متصورا متخيلا كما هو الشأن عند كثير من المؤلفين "حيث يتوهم المؤلف أو يوهم القارئ أن شخصا دعاه إلى وضع كتاب في ذلك الموضوع وهذا جاريا على العادة التي درج عليها المؤلفون في هذا المجال والمعروف أن الخلفاء والأمراء كانوا يشجعون رجال العلم والأدب على التأليف ويضعون رهن إشارتهم الجوائز والهدايا"³

ومن هنا كان المؤلف حريصا كل الحرص على إدراج هذا الداعي الذاتي بصيغة الخطاب الدالة على الشخص المقصود كأن يقول (جاريته أعزك الله...) و (أطال الله بقاءك) وأيضا كأن يقول : (وفقك الله....) و (أحاطك الله....) وغيرها من الصيغ التي وردت

¹—أحمد عبد الغفور عطار، مقدمة الصحاح، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط 1 1956.ص47.

²—حبيب مونسى نظرية الكتابة في النقد العربي القديم. دار الغرب للنشر، ط 1 2000-2001.ص64.

³— المرجع نفسه، ص64.

واضحة في كتب المؤلفين القدامى والمؤلف بذلك يقصد بإهدائه الكتاب إلى نفس الذات التي يريدتها ثم يعقب بذكر الطلب وينتهي إلى الدعاء بالعزة وترف الحياة وجمالها للذات التي حملته على الكتابة .

وهذا أبو حيان التوحيدي الذي صرح مباشرة بدافع التأليف لديه في أول مقدمته أين يخاطب الشيخ الذي له كتب "الإمتاع والمؤانسة" قال: "قد فهمت أيها الشيخ حفظ الله روحك ووكل السلامة بك وأفرغ الكرامة عليك وعصب كل خير بحالك وحشد كل نعمة في رحابك...قلت لي أدام الله توفيقك .في كل قول وفعل وفي كل رأي ونظر..."¹

وهو بذلك يوجه كلامه إلى الشيخ أبو الوفاء المهندس الذي وصل أبو حيان بابن سعدان الوزير في ذلك الوقت والذي ألف له هذا الكتاب ودون له كل ما دار بينه وبين الوزير في سبع وثلاثين ليلة في كتابه "الإمتاع والمؤانسة"، أما الخطيب التبريزي نجده يخاطب ذاتا معينة قال: "سألنتي أدام الله توفيقك أن أخص لك شرح القصائد السبع مع القصيدتين اللتين أضافهما إليهما أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوي قصيدة النابغة الذبياني الدالية وقصيدة الأعشى اللامية وقصيدة عبيد بن الأبرص البائية تمام العشر...."²

وقد ذكر **الثعالبي** ومن خلال مقدمة كتابه "فقه اللغة" أنه ألفه للوزير أبي الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي والكتاب مرتب على موضوعات المعاني وقدم الثعالبي لكتابه بمقدمة وضح فيها أن دوافع تأليفه كانت استجابة للوزير نفسه وعرض لأسماء من اعتمد عليهم في تصنيفه من أئمة اللغة والأدب والفلسفة قال: "فإلى من جمل الزمان بمجده وشرف أهل الآداب بمناسبة طبعه...وأعود أدام الله تأييد الأمير السيد الأوحده، لما افتتحت له رسالتي هذه فأقول أني ما عدلت بمؤلفاتي إلى هذه الغاية عن اسمه ورسمه...أدام الله أنس الفضل به، فتح لي إقباله رتاج التخير وأزهر لي قربه سراج التبصر في استتمام الكتاب وتقرير الأبواب..."³

¹ - أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة، ص3.

² - الخطيب التبريزي، شرح القصائد العشر ضبطه وشرحه عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1997 ص 10.

³ - أبو منصور الثعالبي ،فقه اللغة ،تح الدكتور جمال طلبية، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 2001 ص32

أما الداعي الموضوعي "وغالبا ما يتأخر على الداعي الذاتي الذي يأتي في الأول تقديمًا لذكر السلطان أو الخليفة، فيمكن في تلك الأسباب الموضوعية أو العلمية التي تتصل مباشرة بفكرة التأليف أو جنسه أو موضوعه فقد عرضنا أن خصومة الناس وانقسامهم إلى فريقين حول أبي تمام وكذا البحري وشعريهما هو الذي دعا الحسن بن بشير الآمدي إلى تأليف "الموازنة بين الطائيين" وأن اختلاف الناس حول أبي الطيب المتبّي هو الذي حمل القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني على تأليف "الوساطة" بين المتبّي وخصومه" وأن قلة ما كان بين أيدي الناس من علم تمييز جيد الشعر من رديئه هو الذي دعا قدامه بن جعفر إلى وضع كتاب يسد هذا الفراغ الموجود في الساحة النقدية فكان كتابيه "نقد الشعر ونقد النثر" هو ثمرة هذا الداعي .

كذلك كان الاهتمام البالغ بالقضايا الشعرية وأصولها وتنازع النقاد في قدمها وحداتها ما أدى إلى الاهتمام بهذا المجال من خلال كتاب مهم لابن قتيبة هو "الشعر والشعراء" دون أن يترك علم البلاغة والنحو وأيضا اللغة ومكوناتها من خلال عدة مؤلفات تعد الكتب الأصل في تطور وانتشار العلوم والمعارف الإنسانية عبر أجيال مستمرة. فنجد في اللغة كتاب "فقه اللغة للثعالبي" أما البلاغة والبيان فقد اهتم بها الجاحظ في كتابين مشهورين هما: "البيان والتبيين" و "الحيوان" وهناك ما لا يحصى من الأمثلة... اهتمام القدماء بتعيين الأسباب التي حملتهم على تأليف ما ألقوه من كتب سواء تعلق الأمر بالأسباب الذاتية أم الموضوعية¹

وقدم المرزوقي مقدمة شرحة ديوان الحماسة لأبي تمام الطائي جاعلا من السبب الذاتي داعيا ومحفز إلى الكتابة والتأليف والبحث قال: "وبعد فانك جاريتي أطال الله بقاءك في أشمل سعادة وأكمل سلامة، لما رأيتي أقصر ما أستفضله من وقتي وأستخلصه من وكدي* على عمل شرح الاختبار المنسوب إلى أبي تمام حبيب ابن أوس الطائي المعروف بكتاب "الحماسة" أمر الشعر وفتونه وما قال الشعراء في الجاهلية وما بعدها وفي أوائل أيام الدولتين وأواخرها من الرفعة به....

¹ - مصطفى سلوى، عتبات النص، ص39

*الوكد=الجد

ثم سألتني عن شرائط الاختيار فيه وعما يتميز به النظم عن النثر وما يحمد أو يذم من الغلو فيه أو القصد وعن قواعد الشعر التي يجب الكلام فيها وعليها، حتى تصير جوانبها محفوظة من الوهن...¹

ويتميز الداعي بأنه دافع تعليمي بمقياس الشرح والتحليل وأيضا التفصيل من أجل الوصول إلى الفكرة المرادة من ذلك القول أو العمل.

6/ جنس التأليف :

والمقصود به أن يعرض الكاتب لأمر ثلاثة أو لأحدها وهي : تحديد الجنس التأليفي الذي ينتمي إليه الكاتب، وبسط موضوع الكتاب ،وتفسير عناصر العنوان الذي اختاره لتأليفه" والغالب أن يكتفي المؤلف بتحديد النوع الذي ينتمي إليه الكتاب بالإضافة إلى طرح الموضوع ،أما تفسير العنوان فقليل في المقدمات التي عقدها القدماء لمؤلفاتهم بالمقارنة مع العنصرين الأخيرين² وله أهمية بالغة في إظهار قيمة الكتاب وموضوع مقدمته قال أبو هلال العسكري في تقديم الجنس الذي منه كتاب "سر الضائعين " أن أحق العلوم بالتعلم وأولها بالتحفظ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه ،علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي يعرف إعجاز كتاب الله تعالى...³ وقدم ابن قتيبة كتابه " الشعر والشعراء" فقال : "هذا كتاب ألفته في الشعراء،أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم وأسماء آبائهم ومن كان يعرف باللقب أو بالكنية منهم"⁴ أما أبو العباس المبرد فيعرض موضوع كتابه " الكامل في اللغة والأدب" قال " هذا كتاب ألفناه يجمع ضروب من الأدب ،ما بين كلام منثور ، وشعر مرصوف ، ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة والنية فيه أن تفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق...وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحا شافيا ،حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا"⁵

¹- المرزوقي، شرح ديوان الحماسة ص 03 .

² - مصطفى سلوى ،عتبات النص، المفهوم والموقعية والوظائف ص .43

³- أبو هلال السكري ،سر الصناعتين ،تحقيق، مفيد قميحة ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 1981-ص 09.

⁴- ابن قتيبة ،الشعر والشعراء،ص 07.

⁵- المبرد، الكامل ص 06.

وقد بين ابن عبد ربه في مقدمة عقده الفريد موضوع وجنس تأليفه حيث قال: " فتطلبت نظائر الكلام وأشكال المعاني وجواهر الحكم وضروب الأدب ونوادير الأمثال ، ثم قرنت كل جنس منها إلى جنسه فجعلته بابا على حدته ليستدل الطالب للخير على موضعه من الكتاب ونظيره في كل باب وقصدت من جملة الأخبار وفنون الآثار أشرفها جوهرًا وأظهرها رونقًا وأطفها معنى ولأجزلها لفظًا وأحسنها ديباجة وأكثرها طلاوة وحلاوة..."¹ وقد وضح الجرجاني موضوعه من خلال مقدمة كتابه " دلائل الإعجاز" فقال " هذا كلام وجيز يتطلع به الناظر على أصول النحو جملة...إلى كلام من أصغى إليه وتدبره تدبر ذي دين وفتوة ،دعاه إلى النظر في الكتاب الذي وضعناه ، وبعثه على طلب دوناه..²

وهذا الاختلاف في تحديد جنس التأليف عند العلماء القدامى هو خير دليل على براعة كتابنا وتفوقهم في هذا المجال.

7/ خطة التأليف :

تعتبر الخطة من أهم العناصر التي تنظم الأعمال وتبرز بما لها ومكوناتها فهي تلك الطريقة الفنية الإبداعية التي يتم فيها عرض المؤلفات في رونق متجانس . لذلك فهي تقوم على عنصرين أساسيين هما :

1-تبيان الطريقة التي نهجها المؤلف في تأليف الكتاب وعرض مادته ثم

2-عرض الأقسام أو الأبواب أو الفصول التي يتكون منها .

"فأما العنصر الأول الذي يشرح فيه المؤلف طريقته في تأليف الكتاب أساسي وقف عند تبيانه وتفصيل الحديث فيه أكثر من تعاطي لهذه الصناعة " ³

وقال ابن قتيبة في " الشعر والشعراء " مبينا منهجية في اختيار الشعراء والترجمة لهم : " ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلد أو استحسنت باستحسان غيره ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقديمه والى المتأخر منهم بعين الاحتقار

¹ - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص ص03-04

² -عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ص7.

³ -مصطفى سلوى. عتبات النص. المفهوم والموقعية والوظائف،ص46.

لتأخره بل نظرت بعين العدل على الطريقتين وأعطيت كل حظه ووقرت عليه حقه فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله : ويضعه في متخيره...¹ قال أبو هلال العسكري في ترتيب موضوعات "سر الضائعين " " وأجعله عشرة أبواب مشتملة على ثلاثة وخمسين فصلا : الباب الأول في الإبانة عن موضوع البلاغة في أصل اللغة وما يجري معه من تصرف لفظها وذكر حدودها وشرح وجوهها وضرب الأمثلة في كل نوع منها وتفسير ما جاء عن العلماء فيها² ثم ذكر ما يتعلق بتعداد أسماء الأبواب والفصول ليوضح للقارئ ما بداخل الكتاب. ومن هنا فبنية المنهج في مقدمات القدامى قسمان :

1-مسهبة تشرح طريقة الكتابة.

2-موجزة مختصرة تكتفي بعرض الأقسام كنصوص الجرجاني والآمدي وأبو هلال.

8/تقريض الكتاب : يعتبر عنصرا هاما في بنية المقدمة حيث يساهم في الكشف عن ميزات الكتاب بطريقة مميزة وأكثر دلالة ،فقد جاء في "لسان العرب" أن " القرض : شجر يدبغ به والتقريض : مدح الإنسان وهو وحي وقرظ الرجل تقريظا : مدحه وأثنى عليه مأخوذة من تقريض الأديم يبالغ في دباغه بالقرض .

كما أنه جاء في باب (قرض) : والقرض : ما يتجاوز به الناس ويتقاضونه وجمعه قروض وهو ما أسفله من إحسان أو إساءة "³وما يهمننا في دراستنا هو ما علاقة هذا التقريض ببنية المقدمة ؟خاصة إذا كان المقصود به ما صنعه القدامى من مقدمات فلا بد هنا من الإشارة إلى أن المؤلفين القدامى يقرضون مؤلفاتهم عن طريق اختيارهم عنوانه فيقال (الكامل) و (الحماسة) و (الوساطة) و (الموازنة) و (الامالي) و (أسرار البلاغة) و (عيار الشعر) و(الشعر والشعراء) و (سرا لضايعين) و(منهاج البلغاء وسراج الأدباء) و(الأغاني) و(البيان والتبيين) و(الإمتاع والمؤانسة) و(صبح الأعشى) و(شرح القصائد العشر) وغيرها من الأسماء التي تفيد علو شأن وقيمة الكتاب

¹ - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص10.

² - أبو هلال العسكري العنوان ص 13-14

³ - ابن منظور، لسان العرب، ص ص217،218.

بالإضافة إلى جنوحهم في كثير من الأحيان إلى استعارة بعض ألفاظ النبات والمعادن واللائي والجواهر والنجوم والأفلاك يسمون بها مؤلفاتهم، لتؤدي ما يمكن أن تصطلح عليه الوظيفة الإشهارية فقيل: "العقد الفريد" وغيرها...¹ تتعدد طرق تقريرى بتتوع عناوين المؤلفات فمنها :

طول المدة التي استغرقها التأليف، ومنه قول ابن جني في تقريرى كتاب (الخصائص) كتاب لم أزل على فارط الحال وتقادم الوقت ملاحظا له ،عاكف الفكر عليه، منجذب الرأي إليه²

فهنا يضيف إلى جانب تقريرى الكتاب التباهي بعلمه وأدبه المتنوع وقد اعتبر هذا عيبا لذلك وجدنا كثيرا من المؤلفين تغاضوا عنه وأهملوا تقريرى مؤلفاتهم رغم القيمة الجليلة التي احتوتها .

نذكر على سبيل المثال القرطاجني في كتابه(منهاج البلغاء وسراج الأدباء) وغيره من المؤلفين .

ومهما كان نوع التقريرى أو شكله أو بينه في خطاب المقدمة فانه يؤدي وظيفة اشهارية جمالية تضاف إلى مثلتها في العنوان المختار الذي يشكل عتبة مهمة، و دافعا أساسيا في اقتناء الكتب ذلك " لأنه يعد من بين أهم عناصر المناص أو النص الموازي لهذا فان تعريفه يطرح بعض الأسئلة ويلح علينا في التحليل فجهاز العنونة كما عرفه عصر النهضة أو قبل ذلك العصر الكلاسيكي كعنصر مهم ،كونه مجموع معقد أحيانا أو مربك وهذا التعقيد ليس لطوله أو لقصره ولكن مرده مدى قدرتنا على تحليله وتأويله³ وهو كذلك "عقد شعري بين الكاتب والكتابة من جهة وعقد قرائي بينه وبين جمهوره وقرائه من جهة أخرى وعقد تجاري وإشهاري بينه وبين الناشر من جهة ثالثة ...وهو يملك بهذا قيمة جمالية وشعرية كتابية متميزة⁴

لذلك كان العنوان إلى جانب مقدمة الكتاب إحدى أهم مصاحبات النص .

¹ - مصطفى سلوى، عتبات النص ، ص 50

² - ابن جني ، الخصائص، ص1.

³ - عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جنبييت ص65.

⁴ - المرجع نفسه، ص71

9/مصادر التأليف :

يلح العلماء القدامى على جذب القارئ ليتعرف على مصادر تأليفهم ضمن خطاب المقدمة وذلك بمثابة رد الأمانة إلى أهلها "وكان القول أو الرأي أو النص الذي يستعينون به من كتاب آخر عبارة عن أمانة في عنقهم عليهم ردها إلى محلها...وليس هناك مؤلف أغفل الحديث عن مكتبته التي رافقته في تأليفه هذا الكتاب أو ذاك.."¹ ومنه فالإشارة للمصادر تكون في خطاب المقدمة أو داخل المتن كما يتحدث المؤلف عن مصادر كتابه حين يشير إلى من سبقه إلى التأليف في ذلك الموضوع الذي سيخوض فيه .

10/ زمان التأليف ومكانه:

يقصد به أن ينص المؤلف على زمان التأليف ومكانه في بداية التأليف أو عند الانتهاء منه على أساس أن الزمان هو الدليل على صحة ما كتب ودون من قبل القدامى والمكان هو الإثبات على صحة ما جاء به السابقون وبهذا المفهوم يكون التاريخ هو عمود اليقين وتجدر الإشارة هنا إلى أن معظم المؤلفين لم يرد عندهم هذا العنصر ،هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد" أن الحديث عند القدماء عن زمان تأليف الكتابة أكثر من حديثهم عن مكان تأليفه إذ نادرا ما نجد مؤلفا ضبط اسم المكان الذي كان مقيما فيه حين ألف كتابه ،ثم إن زمان تأليف الكتاب مفارقة أخرى تكمن في أن حديث المؤلف عن زمن الانتهاء من التأليف أكثر من حديثه عن زمن الشروع فيه " .²

11/الدعاء والحمد:

وهو العنصر الأخير والمكمل لبنية المقدمة ويعتبر قفلا خاصة إذا كانت البسمة والحمدلة والتصلية والتسليم مفتاحها " فقد أوجب العلماء القدامى حمد الله وشكره بالإضافة إلى الدعاء في آخر كل مقدمة يضعونها لمؤلفاتهم فكما ابتدأ المؤلف بالتوجه بالخطاب

¹ - مصطفى سلوى، عتبات النص، ص54.

² - المرجع نفسه، ص59.

إلى الذات الإلهية وجب عليه أن ينتهي بخطاب مواز يناجي فيه خالقه ويشكره على نعمة الصحة ونور البصر وسعة الوقت والخلو من الهم حتى تمكن من انجاز ذلك التأليف¹ وخواتم القدامى كثيرة ومتنوعة ورد فيها الدعاء والحمد.. منها ما ورد في كتاب أبي هلال العسكري، حيث كان الدعاء خاتمة مقدمته لكتاب "الصناعتين" حيث قال: "و أرجو أن يعين الله على المراد من ذلك والمقصود فيما نحونا إليه ويقرنه بالتوفيق ويشفعه بالتسديد انه سميع مجيب"²

إضافة إلى أن هذا المكون القفل يرد موجزا مختصرا عكس الافتتاح بالبسملة والحمدلة والتصلية والتسليم ومن ذلك نجد المبرد في آخر مقدمته يقول: "وبالله التوفيق والحوال والقوة واله مفرعنا في درك كل طلبة والتوفيق لما فيه صلاح أمورنا من عمل بطاعته وعقد برضاه وقول صادق يرفعه عمل صالح انه على كل شيء قدير"³. أما قدامه فختم بقوله: "وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب"⁴ كما فعل القلقشندي أيضا في حين اعتمد بعض الكتاب على الحمد والتصلية معا كما فعل الجرجاني في آخر مقدمته فقال: "الحمد لله وحده وصلواته على رسوله محمد وآله"⁵

بهذه الكيفية مارس العلماء القدامى صنعة المقدمة التي قدموا بها مؤلفاتهم فكانوا على وعي تام بأهم المقاصد والوظائف التي تؤديها مكونات خطاب المقدمة حيث نلاحظ أن بناء المقدمات في كتب النقد العربي القديم تموقع عبر أفقين:

الأول: تمهيدي يعتبر تمهيدا لنص المقدمة الآتي بعده ويتكون من خمس مكونات كما سبق ذكره.

أما الثاني: ويحتوى على مكونات اختلف العلماء القدامى في الإلمام بها وذلك تبعا لطبيعة التأليف وموضوعه واهتمام صاحبه.

¹ المرجع السابق، ص 59-60.

² - أبو هلال العسكري ، سرالصناعتين، ص 14.

³ - المبرد ، الكامل، ص 07.

⁴ - قدامة بن جعفر، نقد النثر، ص 05

⁵ - الجرجاني ، أسرار البلاغة، ص 12

و في الأخير نخلص إلى تسليط الضوء على بنية المقدمة من خلال اشتغالها في إطار نسق متكامل يقوم على التفاعل بين العناصر المختلفة المشكلة لها بتوضيح أنواع المقدمة ممثلة في: مقدمة موسعة ،ومضيقة ،ومضافة،وصولاً إلى وظائفها كهمزة وصل بين المؤلف والمتلقي بأقسامها الثلاثة وهي: الوظيفة التأسيسية والايصالية والتفصيلية،مع التركيز على بنية هذه المقدمة في كتب النقد العربي القديم باستعراض وحداتها الأساسية إن الحديث عن بنية المقدمة في كتب النقد العربي القديم بصفة عامة يدفعنا إلى الحديث عن بنية المقدمة في كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي بصفة خاصة.

تشكل المقدمة عنصرا هاما في كتب النقد العربي القديم، لما لها من خصوصية استهلالية وتمهيدية يلج بها المؤلف إلى موضوع الكتاب .
وقد كان للمقدمة حضور في كتاب ابن سلام الجمحي، وهذا من خلال التزامه بوحداث خطابية تجلب في أقطاب ثلاثة هي : الاستهلال ، العرض والانتهاه .
أولا : الاستهلال :

كان للاستهلال مكانة هامة لدى نقاد العرب القدامى حيث قاموا بدراسته من خلال تتبع أنماط توظيفية وتواجده في بنية النص من خلال تعاقبه في الزمن كمستوى أول ومن خلال أنماط الخطابات التي توظفه(الرسائل، الخطب)، والذي من عناصره:
1/ البسمة :

افتتح ابن سلام الجمحي في دراسته لبنية المقدمة في كتابه طبقات فحول الشعراء ببسمة تامة صيغتها " بسم الله الرحمن الرحيم " ¹ حيث جاءت في أعلى وسط النص منفردة معزولة ومكتوبة بخط بارز وأنيق ولافتة للأنظار ومخالفة للخط الذي كتب به المقدمة ككل، وهذا من حيث كبر حجم الخط .

إن الاستفتاح بالبسمة يحيل إلى الانتماء العقائدي لابن سلام، فهو انس مسلم ينتمي إلى الأمة العربية الإسلامية يستطيع القول أن هذا الانتماء الإيديولوجي يضيف على المقدمة هالة من القداسة كونها موجهة لمخاطب خاص يشترط فيه أن يكون مسلما ،إن هذا الاستفتاح المحدد لانتماء المؤلف فيه اقتداء بالفعل الإلهي الذي يفتتح كل سورة من سور القرآن الكريم بالبسمة ، والأمر نفسه بالنسبة " للنبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يفتتح كتبه بالبسمة " ²

إن إثبات الهوية الإسلامية لا يعني إغفالنا للهوية العربية لابن سلام الجمحي من خلال توليه الكتابة لهذه اللغة ومراعاة قواعدها وأصولها ، وفي الحقيقة إن هذا الاستفتاح هو إثبات لسلطة المؤلف من خلال إضفاء نوع من القداسة على المؤلف المكتوب ،وهي قداسة مستقاة من القداسة الإلهية ، وبها سيكون فرض رقابة على هذا المكتوب والتي بها يتعين تحديد شروط ومعايير القراءة والاستماع ،وهذا ما يحيلنا إلى أن الإسلام لم يحدث تغييرا على

¹- محمد بن سلام الجمحي ،طبقات الشعراء،إعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي ،ص 3.

²- زكي مبارك ،النثر الفني في القرن الرابع ، دار الجيل ، بيروت -لبنان، د ط ، 1975 ص68.

مستوى التشريع فقط بل امتد هذا التغيير إلى إبدال قواعد وتقاليد الكتابة كذلك وعليه فان صيغة استفتاح هذه المقدمة كفيلة لمعرفة مرجعيتها الدينية الايديولوجية كون هذا الاستفتاح يطرح إشكالا من خلال تميز المؤلف الإسلامي في اصطناع تقاليد كتابته، وتميزها عن باقي الكتابات، وقد كان نموذج النص القرآني قدوة لكل الكتابات الإسلامية مقابل فصلها عن الكتابات عدا الإسلامية، وهكذا "يبتدئ القرآن السور بالبسملة وهي اسمه إسلامية أريد بها مخالفة ما كان عليه المشركون، وقد أراد فريق من الفقهاء أن يتخذوها فاتحة الرسائل والمؤلفات، فوجدوا لذلك حديثا يقول : كل أمرذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر"¹

إن البدء بعبارة الاستفتاح في نص ابن سلام الجمحي (بسم الله الرحمن الرحيم) يشكل مفتاحا رمزيا للإعلان عن بداية المقدمة والتمهيد لموضوع الكتاب، وعليه فان عنصر الاستفتاح المهيم على المقدمة في كتاب ابن سلام هو عنصر كفيلا للإعلان عن تحديد مقاصد القول منذ البداية، فقد سبق لأرسطو أن أسند هذه الوظيفة إلى الاستهلال في قوله : " إن الوظيفة الخاصة والجوهرية للاستهلال هي أن يبين الخطيب -ماهية الغرض والغاية منه"²

إلى جانب ما ذكرناه سابقا فإننا نشير إلى أن وحدات الاستهلال المتمثلة في الحمدة والتصلية والتسليم والتشهد لا نجد لهم مكانا في مقدمة كتاب الطبقات لابن سلام الجمحي وربما يعود ذلك إلى سيطرة الموضوع المراد طرقة على المؤلف بمعنى أن ابن سلام شغل بلب الموضوع خاصة في ظل الظروف الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة في المجتمع الإسلامي في القرن الثالث الهجري، يتصدرها دخول الأعاجم إلى الإسلام والخوف على ضياع تراث العرب الشعري القديم خاصة مع موت الكثير من الرواة في الفتوحات الإسلامية ومن هنا لا يمكن الجزم لعدم تدخل الرواة في إعادة صياغة كتاب الطبقات ولا عجب في ذلك لأن الشفوية التي كانت مهيمنة وناقلة للكتب النقدية، البلاغة والفقهية لها باع كبير في تغيير مسار الكثير من المؤلفات.

¹- المرجع السابق، ص 48.

²- أرسطو، فن الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام -الجزائر 1980 ص 238.

2/ الراوي :

ولا نقصد بالراوي هنا ذلك الشخص الذي يتقدم باعتباره شخصية ورقية أو فعلية في سياق نص سردي حكائي، وإنما نعني به ذلك الإنسان الشخصي الآدمي الذي يقوم بنقل القول المكتوب من حالته الشفوية إلى الكتابية بمعنى أن مهمته تنحصر في النقل أو النسخ ثم التبليغ .

وقد أسهب الحديث عن الراوي أو الرواة في إطار الدراسات الفقهية المتعلقة بأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام أين يحتل الراوي أو الرواة مكانة بارزة معتمدة على طريقة السند المتصل إلى بداية النص المروي (المتن) وهو ما يعرف بالنعنة.

وقد احتفظت بعض كتب النقد العربي القديم بالطريقة ذاتها التي كان يروى بها الحديث الشريف، ويمكننا إرجاع ذلك إلى كونها تمثل البدايات الأولى المنظمة في حركة التأليف النقدي عند العرب القدامى وهذا ما نجده في كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي حيث يفتتح مقدمته كما يلي :

"قال أبو محمد أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بحير القاضي أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي قال : وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم"¹

فمن هنا نلاحظ أن الراوي يبرز في بداية المقدمة في أول السطر من خلال فعل القول "قال"، وضمير الراوي وذلك في قوله : " قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي".² فهنا الراوي قد سمي المؤلف وعين جنسه، أي أن المؤلف هنا من جنس الذكور وليس الإناث وكأن الراوي هنا يقدم الامتياز لسيادة ثقافة الذكور، فتسمية المؤلف وتجنيسه تساعد في عملية الضبط والتوثيق والتحقيق وحمايته من الانتحال خاصة وأن طبيعة النص الأصلي للمؤلف شفوي، نقل عن طريق السماع فالراوي هنا يضع حاجزا بينه وبين ابن سلام من خلال فعل لقول "قال" وكأنه يقول أنني لست القائل بل هو أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي، وهذا من باب الأمانة العلمية خاصة وأن الراوي من الرواة الثقات، فهو ابن أخت محمد بن سلام أبو خليفة الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب بن صخر بن عبد الرحمن الجمحي، حيث

¹ - ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، ص 3.

² - المصدر نفسه ص 3، 4.

أن الراوي من خلال فعل القول "قال" أصبح شاهداً على صحة المقول الذي تم سماعه وهذا دليل على الوفاء التام للشيخ أو الأستاذ من قبل الراوي الذي يقوم كذلك بدور إعلاني يوجهه للمتلقي في بداية النص المؤلف بمعنى ضرورة إعلان المؤلف عن نفسه بصيغة من الصيغ، ليعلن أن الكتاب قد بدأ وشرع في موضوعه وأن المؤلف قد بدأ كتابته وفعل القول " فقال للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تتقفه العين ومنها ما تتقفه الأذن"¹ بمثابة إعلان رسمي عن بداية الكلام الشخصي للمؤلف لا لغيره.

وتدخل الراوي هنا للإعلان عن بداية الكلام يريد أن يقول أن النص المقدماتي ومن خلال المؤلف ككل لا يكتفي بتقديم نفسه بنفسه بل لا بد من استدعاء وسيط لإبلاغ خطاب المؤلف فيكون الراوي هنا بمثابة حلقة وصل بين المؤلف والمتلقي قصد جلب انتباهه خاصة وأن فعل القول هنا مقرون باسم مؤلف ذائع الصيت **كابن سلام الجمحي** فهذا كافي لإثارة فضول المتلقي ومنه فيروز فعل القول "قال وللشعر صناعة" دليل على البداية الفعلية لخطاب المؤلف ، ومن هنا يمكن إضافة المواطن الخمسة التي تدخل فيها راوي الكتاب- حسب رأي محمد شاكر - وهي كالتالي :

أ/الصفحة رقم 11، السطر الأول: "والبيت مريب عند أبي عبد الله"²

ب/ الصفحة رقم 17 ،تعليق 1 ، نقلا عن المرزباني وهو قوله: "قال الفضل .."³

ج/ الصفحة رقم 41،الخبر رقم 46: يقال يتهمك ويتهم

قال الفضل : يقال ليلة بهرة ،إذا كان قمرها وضياً⁴

د/الصفحة 140، الخبر 179 المسند كله إلى أبي الفضل:

نا أبو خليفة ،نا أبو عثمان المازني ،عن الأصمعي عن نافع بن أبي نعيم ،قال : مر رجل من مزينة بباب رجل من الأنصار ، وقد كان يتهم بامرأته، فتمثل * هل ما علمت وما استودعت مكتوم *

فاستعدي رب البيت عليه عمر ،فقال له عمر : ما أردت ؟

قال :وما علي في أن أنشدت شعرا ،قال : قد كان له موضوع غير هذا ،ثم أمر به فحد.

1 - المصدر السابق، ص3.

2- المصدر نفسه ،ص11.

3- المصدر نفسه ،ص17..

4- المصدر نفسه ،ص 41..

هـ/الصفحة 391، آخر الفقرة 529: الجدل : القتل والاداهم : الجبال
 نا أبو خليفة :كل من كان في عمله حديد فهو قين ،بذي نجب: يوم التقت بنو حنظلة وبنو
 عامر ،إلا بني مالك بن حنظلة ¹

ومن هنا يمكن تصنيف مقدمة كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ضمن نوعين
 من الاستهلال هما :

1/ الاستهلال التأليفي : الذي يتحدد بذاتية وواقعية المستهل للعمل وهو الذي عرفه جيسنين
 بالاستهلال الواقعي ،وهو الاستهلال الذي يكون فيه المستهل شخصا واقعيًا ،وهذا ما ينطبق
 على ابن سلام الجمحي .
 أما النوع الثاني فيتمثل في:

2/ الاستهلال الغيري : وهذا ما تم توظيفه من خلال تدخل الراوي أبو خليفة الفضل بن
 الجباب بن محمد بن شعيب بن صخر بن عبد الرحمن الجمحي في العديد من المرات وعليه
 فبعد البدء بالبسملة في كتاب الطبقات لابن سلام يبرز الراوي الذي يصرح باسم المؤلف في
 بداية الاستهلال فيعلن عن ظهوره بالاسم الكامل من خلال فعل القول "قال" تأتي البعدية
 كعنصر من أهم عناصر الاستهلال.

¹ - عبد الرزاق بلال ،مدخل الى عتبات النص ، ص ص 61،62.

3/ البعدية :

إن البعدية في كتاب طبقات فحول الشعراء وقعت نقطة انعطاف من الاستهلال إلى العرض وهي ليست مذكورة صراحة ،حيث جرت العادة أن يعبر عن هذا الفصل بهذه اللفظة نفسها "وبعد" أو "أما بعد" أو بغيرها " فقد ألف القدماء على أن يتخلصوا من صدور الكتاب إلى المقصود تارة بأما بعد وأخرى بغيرها"¹ وهذا الغير يتيح إمكانية تصور الأدوات التي يمكن أن تنوب عن هذه الكلمة البعدية أو تخيل مكانها فارغاً مثل ما هو ملاحظ في مقدمة ابن سلام الجمحي ،حيث أن هذه الكلمة موجودة بالقوة بقدر ماهي موجودة بالفعل أيضا وهنا لا بد من إنقار لعبة الخفاء والتجلي لإدراك آليات اشتغال هذا العنصر ،ومن هنا فهي تدرك في النص المقدماتي رغم عدم التصريح بها ،فهي بمثابة الرمز العقدة التي تربط النص بقارئه أو سامعه من أجل الإعلام بالانتقال بمعنى أن هذا الأخير لا يكون سريرا بل هو علني ومن الضروري التصريح به بالفعل أو القوة وهذا ما يتجسد في مقدمة ابن سلام الجمحي، وذلك من خلال قوله:"ذكرنا العرب وأشعارها...وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها فاقتصرنا من ذلك على مايجهله عالم،ولا يستغنى عن علمه ناظر في أمر العرب فبدأنا بالشعر"² .

¹ _ زكي مبارك،النثر الفني،ص 26

² _ ابن سلام الجمحي ،طبقات فحول الشعراء،ص3

ثانيا : العرض

يقصد به الوحدة الخطابية الثانية بعد الاستهلال تطرق فيه ابن سلام لمجموعة من الأفكار والقضايا التي تهم الحياة الإبداعية العربية والتي تختلف مضامينها حسب الموضوعات وقديما قالت العرب لكل مقام مقال ، فالعرض يقتصر على عرض أفكار المؤلف أمام المتلقي مع الاجتهاد في طريقة العرض وان الانشغال بالعرض كوحدة خطابية أكبر من الاستهلال يتطلب تفاعل مجموعة من العناصر تتمثل فيما يلي :

1/ أسباب التأليف: (الدواعي)

لقد تضافرت عدة عوامل موضوعية دفعت بابن سلام الجمحي لتأليف كتاب طبقات فحول الشعراء ، إيمانا منه بأهمية التراث الشعري العربي الذي يعيد منظومة ثقافية واجتماعية وسياسية قائمة بذاتها ، فيبدو أن ابن سلام أراد أن يقدم لأهل العلم كتابا يتضمن حصيلة معرفية لا يستغني عنهما من أراد الإلمام بشيء من أمر العرب من جهة شعرهم وشجاعتهم وسادتهم وأيامهم .

إن استعمال ابن سلام الجمحي للضمير البارز الدال على صيغة الجمع في قوله :

- ذكرنا العرب

- فاقتصرنا

- فبدأنا

- ففصلنا

- احتجنا.¹

إنما يدل على اهتمام ابن سلام بحياة العرب وأشعارها ، وصحة نسبتها إلى قائلها ولا نبالغ إذا قلنا أن من الدواعي الموضوعية التي أدت بابن سلام إلى تأليف مؤلفه هي الاهتمام البالغ بالقضايا الشعرية وأصولها وتنازع النقاد في قدمها وحدائتها ويمكن إجمال هذه القضايا في العناصر التالية :

¹ - ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ص 24

أ/ الناقد وثقافته:

يعتبر ابن سلام أول من طرح القضية طرحاً نظرياً في شكل مشكلة قائمة تفرض نفسها على المشتغلين بعالم الشعر، لكن هذا لا يعني أن فكرة النقد أو شخصية الناقد كانتا منعدمتين قبله، فالتغيرات التي طرأت على المجتمع العربي و الشعر العربي كلها مؤشرات الذوق الأدبي لم يعد شيئاً مشتركاً بين جميع الناس، كما أن الشعر لم يعد شعراً متشابهاً كله، ومن هنا تكمن دعوة ابن سلام إلى ما يمكن تسميته بالاختصاص في النقد الأدبي حيث يقول: "وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات: منها ما تتقفه العين ومنها ما تتقفه الأذن ومنها ما تتقفه اليد ومنها ما يتقفه اللسان"¹

ومن هنا نلاحظ أن الشعر في نظر ابن سلام جانبان: صناعة وثقافة، لا يعرفها إلا أهل العلم، فهدفه هنا تسوية الشعر بسائر العلوم والصناعات ليدعم فكرة الاختصاص فتتضافر الكلمتان: صناعة وثقافة في دعم هذه الفكرة بالنسبة للشاعر والناقد بشكل عجيب، حيث تنصرف الكلمة الأولى إلى المادة الشعرية في حين تنصرف الأخرى إلى الحكم النقدي على هذه المادة، وان "الحاف النقد بالحرف العملية يذكّرنا بمعنى كلمة الشاعر عند الإغريق وهو: (الصانع)، وقد كان لهذا المفهوم لديهم أثره في معنى الفن الشعري كله، وفي وصله بالحياة على نحو من (المحاكاة) الفعالة التي لا تكفي بأنها تعكس الأشياء بل تكملها وتصورها على ما ينبغي أن تكون عليه"²

ولفظة صناعة وفق ما جاء به سلام تدور حول معنيين:

الأول: ابتكار الشيء بمعنى السبق إليه .

الثاني: عمل الشيء وفق قواعد معينة معلومة في إطار من التقليد قد يضيف شيئاً جديداً، فابن سلام يستعير من العلوم والصناعات بعض خصائصها ليصل إلى ما يريد: -فهو يأخذ من الصناعة خاصيتها الإبداعية أو الإنشائية ليدلّل بها على الجانب الابتكاري في الشعر .

-يأخذ من العلوم لغوية كانت أو دينية خاصيتها التقييمية ليدلّل بها على الجانب النقدي للشعر .

¹- ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر ص 7.

²- عروة عمر، دروس في النقد الأدبي القديم، أشكاله وصوره ومناهجه، ص 73.

وإذا كانت كل صناعة لها مادتها الأولية التي تستعملها في تشكيل ما تضعه فكذلك الشعر له مادته التي تشكل منها قصائده، هذه أشياء حددها أستاذ ابن سلام الأصمعي حين قال : " لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلا ، حتى يروى أشعار العرب ، ويسمع الأخبار ويعرف المعاني ...¹ " ومن هنا يكون ابن سلام خطأ خطوة أو مرحلة تالية للأصمعي من خلال الخروج بالناقد إلى إطار التخصص بعد أن كان قاسما مشتركا بين الناس مع تحديد مقاييسه عن طريق عرض الشعر على العلماء الذين ارتبطوا بالشعر القديم، وعن طريق ذوقه الذي تكونه الممارسة والمدارسة للشعر ،ومن هنا نميز جانبان في فكر الناقد :

جانب ظاهري : يتمثل في جملة المقاييس التي تبدو من نحو وعروض وأخبار و

جانب خفي : هو الذوق الذي تصقله الممارسة والمدارسة.

وهذا هو سر تميز الناقد عند ابن سلام، والذي يحاول أن يقنعنا به عن طريق جملة من الافتراضات.

أ/ اللؤلؤ والياقوت في قوله: " من ذلك اللؤلؤ والياقوت، لا تعرفه بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره"²

ب/ الدينار والدرهم في قوله : " ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم ، لا تعرف جودتها بلون ولا مس ولا طراز ولا وسم ولا صفة ، ويعرفه الناقد عند المعاينة ، فيعرف بهرجها وزائفها وستوقها ومفرغها "³

ج/ الرجلين في الغناء في قوله: " ويقال للرجل والمرأة في القراءة والغناء: أنه الندى الحلق، ظل الصوت، طويل النفس مصيب للحن، ويوصف الآخر بهذه الصفة ، وبينهما لون بعيد ، يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له ، بلا صفة ينتهي إليها ، ولا علم يوقف عليه وان كثرة المدارسة لتعدي على العلم به فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به."⁴

يضعنا ابن سلام في المثال الأول أمام استحالة معرفة اللؤلؤ والياقوت انطلاقا من مواصفات خارجية كالصفة والوزن ،دون أن نستعين بمن له بصر باللؤلؤ والياقوت ونفس الشيء بالنسبة للدينار والدرهم فيستحيل التعرف على حقيقتها انطلاقا من مواصفات خارجية

¹- ابن رشيق، العمدة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ط 3، 1963، ص ص: 197-198.

²- ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمد محمود شاكر، ص 4.

³- المصدر نفسه ص 5.

⁴- المصدر نفسه ص 6.

لمموسة دون الاستعانة بالناقد وحين ينتقل ابن سلام إلى المثال الثالث يقدم لنا إشكالا أعقد يتمثل في الرجلين في القراءة والغناء يشتركان في مجموعة من الصفات يصعب التمييز بينهما، حتى وان بدوا متشابهين، فبعد أن يثبت ابن سلام الاشتراك بين الرجلين في الغناء في عدة صفات والتباين بينهما في التقييم، الأمر الذي لا يدركه إلا العلماء عند المعاينة والاستماع، يقرر وسيلة هؤلاء العلماء إلى ذلك، وان هذه القدرة لا تأتي عن طريق صفة ظاهرة في الشيء موضوع المعاينة، ولا عن طريق قواعد ثابتة يوصل بواسطتها إلى الحكم، وإنما ينجم ذلك عن طريق المدارس والمعاينة للشيء الذي يراد الحكم عليه كل في مجال اختصاصه.

ويوضح في الأخير ابن سلام غرضه من هذه الأمثلة التي ضربها، وذلك قصد تطبيقها على ميدان الشعر فنفهم من ذلك أمور ثلاثة

أ/ أن الشعراء متشابهون مبدئياً ومع ذلك فثمة فروق بينهم.

ب/ أن إدراك هذه الفروق ليس بإمكان كل الناس بل من مختصين.

ج/ أن وسيلة هذه الفئة في تمييز الأشعار وترجع إلى صفة لا يمكن تحديدها أو علم يوقف عليه، هو هذا الذوق الذي كونته المدارس والممارسة.

ومن هنا وبعد أن اقتنعنا مع ابن سلام بضرورة الناقد، بقي أن نتعرف على أدواته في الحكم على العمل الأدبي.

ب/ أدوات الناقد :

يقتضي الحديث عن أدوات الناقد التعرض لشخصية، فالتعرف على الشعر وتمييز جوده من رديئة، مهمة ينسبها ابن سلام إلى أهل العلم، بالشعر، ومن بين أدوات الناقد نجد ما يلي :

أولاً: الرواية:

والرواية هنا تنقسم إلى قسمين رئيسيين :

رواية الشعر بمعنى حفظه، ورواية الأخبار وما تعلق منها بالشاعر أو الوقائع والأنساب، ويسلمنا النوع الأول من الرواية إلى النوع الثاني منها وهي : الرواية بمعنى الحفظ ، وهنا نجد أن ابن سلام يحدثنا عن أسماهم بأهل الرواية الصحيحة في معرض حديثه عما أسماه بالشعر المفتعل حين قال : "وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب، لم يأخذه من أهل البادية ،

ولم يعرضه على العلماء ، وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه ، أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفي " ¹

ومعنى هذا أن الرواية الصحيحة تعتمد أو تقوم على دعامتين أساسيتين:

الأخذ من أهل البادية وذلك بالرجوع إلى مصدر الشعر سواء بالأخذ عن الشاعر أو الأخذ عن من يروى لهذا الشاعر باعتبار شعره موروثاً قليباً ، وإلا فليعرض هذا الشعر المسموع على العلماء ، ويتبادر إلى الذهن أمران :

إما لأن العلماء رحلوا إلى البادية وجمعوا هذه الأشعار ، وبالتالي فهم أقدر الناس على إثبات صحتها من عدمها .

وإما الاستعانة بمقاييسهم من نحو وعروض وغريب لفهم الشعر وتقويمه والحكم عليه ، حيث نجد ابن سلام نفسه يمارس النقد العروضي على بيتي النابغة في قوله:

أمن آل مية رائج أو مغتدي عجلانَ ذا زادٍ ، وغير مزودٍ .

زعمَ البوارحُ أن رحلتنا غداً وبذاكَ حدثنا الغرابُ الأسود¹

فينبئنا أنه أقوى فيهما

أما الأمر الثاني فيتعلق بالسماع ، فالشائع أن العلماء رحلوا إلى البادية فحفظوا هذه الأشعار .

ثانياً: الإجماع

وإجماع العلماء قد يتجه إلى أمرين اثنين ، فقد يتجه إلى نسبة الشعر إلى شاعر معين أو عدم نسبته إليه كأن يجمع أهل العلم على أن البيت التالي:

فألقيتُ الأمانةَ لم تخُنْها كذلكَ كانَ نوحُ لا يخُونُ

لم يقله النابغة ولم يسمعه عمر ²

أو كإجماعهم مثلاً على أن: امرئ القيس وزهير والنابغة والأعشى طبقة واحدة في الجاهليين أي أن : الإجماع عند ابن سلام يعني تلك المنطلقات الأولية التي يبدأ منها الناقد وذلك باطلاعه على ما اجمع عليه العلماء أو الناس كإجماع الحجازيين على تقديم زهير وإجماع الكوفيين على تقديم الأعشى ، وإجماع البصريين على تقديم امرئ القيس ، وبذلك

¹ - المصدر السابق، ص4.

² - المصدر السابق، ص:60

يشكل الإجماع خلفية صالحة لما يشرع فيه الناقد من النظر في الشعر، بمعنى أن الناقد وقد تسلح بالرواية، واطلع على الموروث النقدي المتمثل في الأمور التي وقع عليها الإجماع لأبأس أن يشرع في تحصيل الأداة التالية:

ثالثا : الدربة والممارسة

فهما حسب ابن سلام انشغال متواصل بالشعر :ومدارسة دائمة له ، فهما التخصص في النظر إلى الشعر فمثلا عندما يتحدث ابن سلام عن تفضيل علماء المدينة لزهير وتقديمهم له يقدم تعليلا لهذا التفضيل : " وقال أهل النظر كان زهير أحفظهم شعرا ، وأبعدهم من سخف ، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق ، وأشدهم مبالغة في المدح وأكثرهم أمثالا في شعره " ¹

فهذه المواصفات الدقيقة لشعر زهير، بغض النظر عن مطابقتها لحقيقة شعره أو عدم مطابقتها لها ، لا تتأتى إلا لمن نظر في شعر زهير قصد استخراج خصائصه ، وغن ما يعمق الفارق بين الناقد وغيره ويجعله خطوة تالية لطبقة الرواة هو ماتمكنه الدربة والممارسة لهذا الناقد ، اذ تضع بين يديه أداة رفيعة هي عماد تخصصه ، وليصير له بذلك نفوذ الصراف في مجال النقد -الدرهم-

"قال قائل لخلف: إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك، قال: إذا أخذت درهما فاستحسنته، فقال لك الصراف انه رديء فهل ينفعك استحسانك له " ² ولكي يتحقق للناقد هذا النفوذ ، لا بد أن يتوفر على ما لا يتوفر عليه غيره ، ومن هنا يؤكد ابن سلام على أداة أخرى يجب على الناقد أن يتسلح بها وهي :

رابعا : الذوق

فهذه الملكة التي توفر عليها الناقد بعد أن دعمها بكل الوسائل الخارجية المتاحة وبعد أن بلورتها الممارسة المستمرة ، فهي زاد الناقد وميزته ، وسيكون من الصعب على النقد العربي أن يقدم للناقد أداة أكثر فعالية من هذه الأداة التي يقدمها ابن سلام في وقت مبكر مستبقا بها الكثير من النقاد الذين اعتمدوا عليها .

¹- المصدر السابق، ص64

²- المصدر نفسه، ص7.

على أن ابن سلام ميز بين نوعين من الذوق :

أ/ذوق عام :قد تشترك فيه مجموعة من الناس

ب/ذوق خاص :قد يتفرد به عدد من الأشخاص ومن ضمنهم ابن سلام نفسه.

وقد مرت معنا أمثلة للإجماع ولكن ما يفرق بينها وبين الذوق العام ،هو أن هذا الإجماع

يحصل على أساس موضوعي واضح ، بينما يكون الذوق العام على أساس من العاطفة

التي تفتقر إلى التعليل كقول ابن سلام مثلا : "وأهل البادية والشعراء بشعر جرير أعجب"¹

وقد يكون لكل فرد ذوقه الشخصي ورأيه الذي يستقل به عن الناس كما في قول ابن سلام

: "أخبرني يونس كالمتعجب، أن ابن ابي اسحاق كان يقول :أشعر أهل الجاهلية مرقش

،وأشعر أهل الإسلام كثير،ولم يقبل هذا القول ولم يشع"²

وتكثر الأمثلة في كتاب الطبقات الدالة على أن ذوق الناقد الذي بدأ باستعاب علوم عصره

،بعد أن صرف إليه ابن سلام ثقافة شاعر الأصمعي :من نحو وعروض وأخبار إلى الرواية

بنوعيتها منتقلا إلى التعرف على ما حصل عليه الإجماع من أحكام نقدية إلى الاطلاع على

مختلف الأذواق الخاص منها والعام ،ليصل إلى مرحلة التجاوز ،مرحلة العطاء انطلاقا من

هذا الذوق ،ليصبح شيئا يميز صاحبه بعد الحصول على الاعتراف له بذلك ،وسيوافقه هذا

الناقد مشكلة كبرى هي مشكلة الانتحال.

¹ - المصدر السابق،ص:375

² - المصدر نفسه، ص58.

ج/ الانتحال

تعتبر قضية الانتحال في الشعر الجاهلي من القضايا التي انشغل بها النقاد في القديم والحديث ،وهي من بين الدواعي الموضوعية التي أدت بآبن سلام الى وضع كتابه فالانتحال والنحل والوضع كلها "مصطلحات لمعان متقاربة تدل جميعا على تزييف الحقيقة وتزويرها فالنحل في الشعر أن تتسب القصيدة إلى غير قائلها ،والانتحال أن ينسب شاعر قصيدة لنفسه وهي ليست له ،والوضع هو الكذب سواء أكان نحلا أم انتحالا"¹

ومن هنا يمكننا توضيح الظاهرة من خلال التقسيم الزمني لها ،فهي متعلقة بثلاث فترات رئيسية :

الفترة الأولى : تمثل العهد الجاهلي أي الأزمان الغابرة .

الفترة الثانية : تمثل صدر الإسلام

الفترة الثالثة : يمكن تسميتها بفترة الاستقرار ، وهذا التقسيم الزمني مستتبط من معالجة آبن سلام لهذه القضية في مقدمته ،وتكمن ضرورة هذا التقسيم في تحديد الأسباب ونمط المعالجة التي يتخذها الناقد ووسائله في ذلك .

أولا : فترة الجاهلية :

ترتبط القضية هنا بالذوق الأدبي القادر على تمييز جيد الشعر من رديئه فآبن سلام بعد أن يثبت لآلف الأحمر صلاحيات الصراف ،ينتقل مباشرة إلى الحديث عن دور آبن إسحاق كشخص مجرد من هذه الميزة في إفساد الشعر بقوله ،"وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غشاء منه محمد بن إسحاق بن يسار مولى آل محزومة بن المطلب بن عبد مناف" وقوله : "ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمرود ،فكتب لهم أشعارا كثيرة وليست بشعر ،إنما هو كلام مؤلف معقود بتواف"²

¹ - داود عطاشة وحسين راضي، قضايا النقد العربي قديمها وحديثها ،ص:6

² - آبن سلام، طبقات فحول الشعراء،تحقيق محمود محمد شاكرا، ص:8 .

والملاحظ هنا أن ابن سلام لا يعطينا مثلاً عن هذا الشعر الذي يرويهِ ابن إسحاق عن هذه الفترة ، وكل ما هنالك أنه يقدم جملة من المواصفات تتعلق بهذا الشعر يكون قد تحصل عليها بفعل اطلاعه أو من خلال سماعه ، فنعلم تارة أن ما حملهُ ابن إسحاق قشور بعيدة كل البعد عن لباب الشعر ، ونعلم تارة أخرى أن هذه الأشعار السقيمة لا حظ لها من الشعر سوى أمها عقدت بقواف حتى لا ينتشر عقدها ، ونعلم تارة أخرى أن هذا الشعر : "كلام واهن خبيث" ، كما نعلم : "ضعف أسره وقلة طلاوته"¹

فهذه كلها مواصفات فنية يجعلها ابن سلام بديلاً عن إعطاء أمثلة عن هذا الشعر ، كأنه قطع الشك باليقين فاستغنى عن ذكره هذه الأشعار .

1/ أسبابه :

نجد غموض النسب من أبرز الأسباب التي أدت إلى الانتحال ، وذلك من خلال قول ابن سلام " ولم يجاوز أبناء نزار في أنسابهم وأشعارهم عدنان ، اقتصروا على معد ، ولم يذكر عدنان جاهلي قط غير لبيد بن ربيعة الكلبى في بيت واحد قاله :

فإن لم تجد من دون عدنان والداً
ودون معدٍ فلتزعك العواذل²

ثم يسوق خبراً عن يونس يرويهِ عن أبي عمرو بن العلاء الذي قال : " العرب كلها ولد إسماعيل إلا حميرة ، وبقايا جرهم"³

فبالإضافة إلى غموض النسب فوق عدنان فإن أبا عمرو بن العلاء يعمق الفارق من الناحية الجنسية ليقطع الأمل في الحصول على الشعر العربي من غير ولد إسماعيل ، وقد يستغل ابن سلام التاريخ فيرى الأمر كالتالي : "إنما كان معد بإزاء موسى بن عمران صلى الله عليه ، أو قبله قليل وبين موسى وعاد الدهر الطويل والأمد البعيد"⁴ .

فكيف جاز لابن إسحاق أن يتخطى كل هذه القرون ليروى لهؤلاء الأقبام شعراً .

ويستغل ابن سلام اللغة كأداة للرد على ابن إسحاق من جانبيين :

¹ - المصدر السابق ، ص 11 .

² - المصدر نفسه ، ص 10 .

³ - المصدر نفسه ، ص 9 .

⁴ - المصدر نفسه ، ، ص 11 .

-أن الفروق اللغوية بين أهل الشام وأهل الجنوب لا تسمح بأن يروى شعر لأهل الجنوب بلغة الشمال مستندا في ذلك إلى قول أبي عمرو بن العلاء: " ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا فكيف بما علا عهد عاد وثمود " ¹

كما يستغل ابن سلام اللغة من جانب تاريخي فيرى يونس أن: "أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما ² وفي ذلك نفيًا لأن تنسب العربية إلى شخص قبله .

ولما كانت الطريقة التي جاءت فيها هذه الأشعار تمت بصلة إلى الجانب الديني فان القرآن الكريم يشكل إحدى أدوات الرد التي يستعملها ابن سلام ،حيث يورد آيات يراها دالة على اندثار هؤلاء الأقسام الذين ينسب إليهم ابن إسحاق هذا الشعر فيقول :والله تبارك وتعالى يقول : ﴿ فَقَطَعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ * سورة الأنعام الآية 45 أي لا بقية لهم .

ثم ينتقل ابن سلام بعد هذا إلى الشعر القديم ويتخذة حكما على فساد الأشعار حيث يراوح بين إعطاء الأمثلة من الشعر القديم الصحيح وبين تاريخ الشعر .

أما ما يخص حديثه عن الشعر الصحيح فنورد قوله : "فمن قديم الشعر الصحيح قول العنبر بن عمرو بن تميم ، وكان جاور في بهراء ،فرا به ريباً فقال :

قَدْ رَابَنِي مِنْ دَلْوِي اضْطِرَابُهَا وَالنَّأْيُ فِي بَهْرَاءِ وَاغْتِرَابُهَا
أَنْ لَا تَجِيئَ مَلَأَى يَجِيئُ قَرَابُهَا " ³

ويقدم لنا ابن سلام هذا الصحيح من قديم الشعر في إطار من الأحداث ليبدو مقنعا مرتبطا بأحداث تجعل الأذهان تتقبله، ثم ينتقل إلى الجانب التاريخي للشعر، فيتحدث عن أولية الشعر العربي .

¹- المصدر السابق ، ص11.

²- المصدر نفسه ، ص12.

³- المصدر نفسه، ص27

أ/ تاريخ القصيدة (أولية الشعر العربي)

إنَّ البحث في نشأة الشعر العربي وبداياته الأولى كانت من أهم أسباب التأليف وذلك من خلال إصرار ابن سلام على نفي ما ينسب من شعر إلى الأقبام الأولى كعاد وثمرود وحمير فيذكر أنه : "لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته ، وإنما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ، وذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمرود وحمير وتبع"¹

يتضح من خلال هذا النص هدف ابن سلام فهو من جهة يبرر توفره على عدد يسير من الأبيات، ليجعلنا نستتكر هذه الكثرة من الأشعار لدى ابن إسحاق ، ثم يربط تاريخ القصيدة بأشخاص معروفين ، يمكن إثبات شخوص أي شعر بمقارنة زمنهم إلى زمن هؤلاء المعروفين وقد يذهب ابن سلام مذهباً آخر فيتحدث عن تاريخ الشعر .

ب/تنقل الشعر في القبائل

تعتبر هذه القضية من أهم القضايا التي اهتم بها ابن سلام كونها تتصل بتاريخ الشعر العربي وتنقله في قبائل العرب ونجد ذلك في قول ابن سلام : "وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب ... وكان شعراء الجاهلية في ربيعة : أولهم المهلهل والمرقشان وسعد بن مالك ، وطرفة بن العبد وعمر بن قميئة ، والحارث بن حلزة ، والمتلمس ، والأعشى والمسيب بن علس ، ثم يحول في قيس ، فمنهم النابغة الذبياني ، وهم يعدون زهير بن أبي سلمة بن عبد الله بن غطفان وابنه كعبا ولبيد والنابغة الجعدي والحطيئة والشماخ وأخوه المزرد وحداش ابن زهير ، ثم آل ذلك إلى تميم فلم يزل فيهم إلى اليوم"²

فابن سلام هنا يحدد ملامح الشعر الجاهلي بحركة تنقله ليكسبه نوعاً من الوضوح، والاستقرار الزمني، كأنه يريد أن يحدد التحرك أو الإطار المكاني والزمني للشعر العربي لتسهل رؤية الدخيل المنحول.

¹- المصدر السابق ، ص26.

²- المصدر نفسه، ص ص39،40.

ثانيا :فترة صدر الإسلام

ويعبر ابن سلام عن الانتحال في هذه الفترة بقوله : "فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأن العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر " ¹

إضافة إلى قصة داوود بن متمم بن نويرة "أخبرني أبو عبيدة أن ابن داوود بن متمم بن نويرة قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي من الجلب والمبيرة فنزل النحيت فأتيته أنا وابن نوح العطاردي ،فسألناه عن شعر أبيه متمم وقمنا له بحاجته وكفيناه ضيعته ،فلما نقد شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويصنعها لنا ،وإذا كلام دون كلام متمم وإذا هو يحتدي على كلامه فيذكر المواضع التي ذكرها متمم والوقائع التي شهدها ، فلما توالى ذلك علمنا انه يفتعله " ²

1/ أسبابه :

تتضح هذه الأسباب من خلال قول ابن سلام : " كان الشعر على قوم لم يكن لهم على أصح منه فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب ،وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته... فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ،ولا كتاب مكتوب وأفوا كل ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه كثير " ³

فمن خلال هذا النص نلاحظ أن ابن سلام يحدد عاملين كبيرين تسببا في ضياع الشعر وفتح باب الانتحال:

-انشغال العرب بالفتوح الإسلامية ،وانقطاع رواية الشعر مما عرضه للتلف بفعل ما أصاب العرب من قتل ثم كون هذا الشعر لم يدون ، وكانوا يعتمدون على ما بقي محفوظا في الأذهان، إضافة على قول ابن سلام "ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه ،قلة ما بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر " ⁴

فهذا دليل على ضياع الكثير من الشعر كما يقدم ابن سلام سببا خطيرا للانتحال هو:

حاجة العرب إلى مراجعة أيامهم ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ،وما ذهب من ذكر وقائعهم ،وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم ،فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ،فقالوا على ألسنة شعرائهم " ⁵

¹- المصدر السابق ، ص25.

²- المصدر نفسه ، ص48.

³- المصدر نفسه، ص25.

⁴-المصدر نفسه، ص26.

⁵- المصدر نفسه ، ص46.

-الرواة وزيادتهم في الشعر ونجد ذلك في قول ابن سلام : " ثم كانت الرواة بعد ،فزادوا في الأشعار التي قيلت "¹

فأمر الرواة هنا قد يرجع إلى عامل أخلاقي كما هو الشأن بالنسبة لحماد الراوية ، " وكان أول من جمع أشعر العرب وساق أحاديثها حماد الراوية وكان غير موثوق به ،وكان ينحل شعر الرجل غيره ،وينحله غير شعره ويزيد في الأشعار "²

ومن هنا فقد تكون الأسباب التي أدت إلى الانتحال هي نفسها التي يحولها الناقد إلى وسائل للتمييز بين صحيح الشعر وزائفه؛ فإذا كانت القبائل العربية قد زادت في أشعارها رغبة منها في الشهرة والمجد وقالت أشعارا مفتعلة على السنة شعرائها فيمكن للناقد أن يتفطن لذلك بجملة من المقاييس ،حيث إذا كان القصد هو الاستكثار من الوقائع ،فإن القراءة الصحيحة لأيام العرب هي التي تكشف عن صحة هذا الشعراً زائفة ،مستخدما في ذلك ذوقه الأدبي .

ثالثا : فترة الاستقرار

من أمثلتها حادثة الفرزدق مع ذي الرمة : "أخبرني أبو يحي الضبي قال ،قال ذو الرمة، يوما لقد قلت أبياتا أن لها لعروضا، وأن لها لمرادا ومعنى بعيدة فقال الفرزدق ،وما قلت قال: قلت :

أحِينْ أَعَادَتْ بِي تَمِيمٌ نَسَاءَهَا وَجَرَدَتْ تَجْرِيدَ الْيَمَانِي مَنْ الْغَمْدِ
وَمَدَّتْ بَضْبَعِي الرَّيَابَ وَمَالِكِ وَعَمَرُو وشَالَتْ مَنْ وَرَائِي بَنُو سَعْدِ
وَمَنْ آلِ يَرْبُوعِ زُهَاءَ كَأَنَّهُ زَهَا اللَّيْلَ مَحْمُودَ النَّكَايَةِ وَالرَّفْدِ
فقال له الفرزدق :

لا تَعُودَنَّ فِيهَا فَأَنَا أَحَقُّ بِهَا مِنْكَ ...

فهي في قصيدة الفرزدق التي يقول فيها :

وَكُنَّا إِذَا الْقَيْسِيُّ بَنُو عَنُودَه ضَرَبْنَاهُ فَوْقَ الْأَنْثِيِّينَ عَلَى الْكُرْدِ"³

¹ _المصدر السابق ، ص 46

² _المصدر نفسه ، ص48.

³ _المصدر نفسه ، ص ص 554-555.

1/ أسبابه :

سرقة الشعراء من بعضهم البعض مع تحديد سبب السرقة ، وهذا هو الجديد في هذه الفترة ، ونجد ذلك حين يعلل الفرزدق أحقيته بالأبيات من ذي الرمة ، وهذا ما بين علاقة الشعر بقائله ومن هنا :

نجد أن ابن سلام قد عمد إلى وضع معايير يكشف بها عن مواضع الانتحال التي تعددت أسبابه ، فكان غموض الجانب التاريخي أحد أسباب هذه الظاهرة في فترة الجاهلية ، أما في صدر الإسلام فنجد الرواية والرواة والعصبية القبلية تلعب دورا بارزا في قضية الانتحال ، أما فترة الاستقرار فقلة الأمثلة عنها تترك الانطباع بخفتها في شكل تزيف لتبدو في شكل سرقة للأبيات بين الشعراء وربما الوضوح التاريخي لهذه الفترة نتيجة الاستقرار كف دور الرواة والقبائل على أن يحدث ما حدث في السابق ، وتبقى إمكانية الناقد متاحة له لمعالجة هذه القضية عن طريق رواية الشعر بمعنى حفظه أو التأكد من مصدره ،

إضافة إلى الجانب التاريخي الذي يشمل حياة الشعراء وعلاقاتهم ببعضهم مما يساعد ذلك في إثبات أو نفي الشعر من الجانب الاجتماعي والتاريخي وذلك من خلال الاستعانة بالذوق الأدبي وهذا ما يدعم هدف ابن سلام في كتابه طبقات فحول الشعراء ، والتي يمكن أن نختصرها في الأمور التالية :

- الفحص عن الأشعار المنسوبة والتأكد من صحة نسبتها إلى الشعراء
- النظر في التراث الذي خلفه أولئك الشعراء نظرة متفحصة دقيقة تمكن من الحكم عليه بالتدليل على مواضع الإجابة، ومواضع التقصير فيه.
- الاستعانة على تلك الأحكام برواية أقوال العلماء السابقين ، والإفادة من آرائهم في تقديم شاعر على غيره، أو تحديد طبقاته، ومن هنا فان التنوع في القضايا النقدية التي طرحها ابن سلام الجمحي في مقدمة كتاب طبقات فحول الشعراء أدى إلى معرفة جنس هذا المؤلف .

2/ جنس التأليف :

تعتبر مقدمة ابن سلام من المقدمات النقدية التي تساعد في الكشف عن الحقائق الوظيفية التي بني عليها نص المؤلف الذي يعتبر بمثابة خطاب المقدمة نظرا لتناولها العديد من القضايا النقدية ، التي كانت بمثابة الداعي لتأليف كتاب الطبقات معتمدا في ذلك على

منهج محدد يُوّطره عنوان الكتاب وفي هذا الإطار يتحدث أمجد الطرابلسي عن "التطور النقدي الكبير الذي حققته مقدمة طبقات فحول الشعراء حيث يرى أن هذه المقدمة تكمن في قراءتها لذاتها من حيث هي نص نقدي معزول، رغم ما يشوب ترتيب أفكاره من اضطراب، فالمهم في هذه المقدمة هو ما تصرح به من أفكار وأراء نقدية فهي آراء تتلخص في مسألة واحدة هي وعي الكاتب بأنه صاحب صناعة... غير أن هذه الفوضى والاضطراب لم تحل دون احتلال مقدمة ابن سلام مرتبة السيادة في انفصالها عن الكتاب، بما تطرحه من أفكار تمكنا من أن نستخلص بأن صاحبه قد عبر إيمان قوي بالعمل النقدي، وأنه يعد أول من أعلن هذا الإيمان بحرارة وصدق"¹

وتبقى مقدمة ابن سلام بمثابة "العتبة الضرورية لولوج متن الكتاب ولولاها لما أمكننا معرفة المقاييس التي بنا عليها ابن سلام تقسيمه لشعرائه المائة وأربعة عشرة الذين شملهم الكتاب... فإذا كان متن الكتاب يكشف لنا عن وجهه باعتباره رجل اختيارات وتراجم، فإن المقدمة تعكس لنا وجهه باعتباره ناقدًا"²

وتجدر الإشارة هنا إلى أن "قراءة المقدمة لا تغني عن قراءة المتن، بل إن قراءة المتن تصير مشروطة بقراءة المقدمة"³

ومن هنا فالمقدمة بمثابة بيان نقدي "فإذا كانت البيانات تدل على نصوص مختزلة منشورة، أما في صحيفة أو مجلة أو ما إلى ذلك، باسم حركة سياسية أو فلسفية أو أدبية أو فنية أو غيرها، فإن المقدمة من خصوصياتها أن تصحب باستمرار النص الذي تقدم له دون أن يمنع ذلك من أن تتحول في كثير من الأحيان إلى بيان، وذلك من خلال الطريقة التي تستثمر بها البعد المعرفي والإيديولوجي."⁴

3/ خطة التأليف (المنهج)

المتأمل لكتاب الطبقات لابن سلام الجمحي، يلاحظ أنه حدد الخطة أو المنهج الذي اتبعه في تصنيفه للشعراء، وفقاً للعناصر التالية :

¹ - الطرابلسي، أمجد، نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة، ترجمة/ إدريس بلمليح، دار توبقال للنشر - الدار البيضاء - ط1، 1993، ص 69، 70.

² - عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص، ص 58.

³ - الشادلي المصطفى، مقاربة أولية لكيفية اشتغال المقدمة في الخطاب النقدي القديم - مقال ضمن مجلة علامات في النقد - 1998، المجلد السابع الجزء 29، ص 303.

⁴ - المرجع نفسه، ص 207.

أ / التقسيم التاريخي :

وهو التقسيم الذي قسم من خلاله ابن سلام الشعراء بحسب أزمانهم على جاهليين وإسلاميين ،ونجد ذلك في قوله : " ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام ،والمخضرمين ،الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام فنزلناهم منازلهم " ¹ فهذه إحدى الطرق السليمة في دراسة الأدب ونقده لأنها تقوم على الصلة الوثيقة بين الأدب والتاريخ ، وكما هو معروف " أن أدب أمة من الأمم يعد تعبيراً صادقاً عن حياتها السياسية والاجتماعية ومصدراً من مصادرها التاريخية ،حيث يرى محمد مندور أن تقسيم ابن سلام الشعراء إلى جاهليين وإسلاميين أمر لا مفر منه ،لأن الإسلام قد أحدث في حياة العرب ثورة روحية ومادية كانت لها آثارها البعيدة في كل مظاهر نشاطهم " ²

ب / البيئة :

اعتمد ابن سلام الجمحي على البيئة وأثرها في الشعر والشعراء فخصص فصلاً كاملاً لشعراء القرى العربية ، فللمكان أثر في تشكيل سمات الشعر خاصة اللغوية ،حيث يقول في سحيم بن وثيل الرياحي : " وكان الغالب عليه البداء والخشنة " ³ فخشونة شعر وثيل مردها البادية ،أما عدي بن زيد فقد اختلفت سمات شعره باختلاف بيئته ،حيث "كان يسكن الحيرة وبرآكن الريف فلان لسانه وسهل منطقه " ⁴ ومن هنا فابن سلام جعل تصنيفه للشعراء على أساس الزمان والمكان ، دون أن يحسب حساباً لفئة المخضرمين ،الذين وزعهم على العصرين :الجاهلي والإسلامي ،وربما يعود السبب في ذلك لكونهم نسيج هذين العصرين ، وقد انتقى ابن سلام هؤلاء الشعراء بعناية فائقة ، معتمداً في ذلك على حجج العلماء الثقات فيهم ،إضافة إلى هذا فإن ابن سلام نظر إلى الشعراء من ناحية فنون الشعر وأبوابه .

ج / الفن الأدبي :

لقد أفرد ابن سلام في تصنيفه للشعراء ، طبقة لأصحاب المراثي دون غيرهم من الذين عالجوا سائر الأغراض الشعرية كشعراء الغزل ،وأهمل ذكر عمر بن أبي ربيعة والأحوص وغيرهما ، فربما يعود السبب في ذلك إلى أن شعر الرثاء " أغزر ألوان الشعر بالعاطفة ، فهو

¹ - ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص23.

² - داود غطاشة الشوابكة ومحمد احمد صوالحة، النقد العربي القديم حتى نهاية القرن الخامس الهجري، ص65.

³ - ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص55.

⁴ - المصدر نفسه ، ص56.

شعر اللوعة والحسرة الذي يبين فيه الشعور الصافي والعاطفة الصادقة بعد زوال أسباب الرغبة والرغبة من ميت لا يرجى خيره، ولا ترهب سطوته " إضافة إلى قول الجاحظ في كتابه البيان والتبيين أنه " قيل لأعرابي: ما بال المراثي أجود أشعاركم قال: لأننا نقول وأكبادنا تحترق "¹ فابن سلام بذوقه الأدبي السليم تفتن إلى أن هؤلاء الشعراء ليسوا كغيرهم ، بل هم إنسانيون قالوا الشعر لكي تشفى نفوسهم من الآلام لفقد ذويهم، كما اعتمد ابن سلام في خطته على عنصر آخر يتمثل في :

د / العقيدة : لقد استند ابن سلام في تقسيمه الشعراء على العقيدة الدينية حين أفرد لشعراء اليهود طبقة مستقلة اشتملت على ثمانية منهم ومن هنا فقد جاءت أفكار ابن سلام منظمة تنظيماً علمياً لاعتماده على الذوق وحسن التمييز والاختيار وهذا ما يوضحه عنوان الكتاب.

4/ العنوان :

يبرز هذا العنصر من خلال اختيار العنوان المتمثل في : **طبقات فحول الشعراء**، الذي صرح به ابن سلام **الجمعي** في مقدمته وذلك من خلال سعيه إلى تصنيف الشعراء إلى طبقات ، حيث يقول : "ذكرنا العرب وأشعارها والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها ... "² وقوله أيضاً:

"فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه فوجدناهم عشر طبقات ، أربعة رهط كل طبقة ، متكافئين معتدلين "³ فيبدو أن ابن سلام أراد بـ(الطبقة) جماعة من الشعراء تشابهت في أمر من الأمور ، فقد يكون تشابهاً في الغرض الشعري ، فيكون لشعراء الغرض الواحد طبقة كما هو الأمر بالنسبة لطبقة أصحاب المراثي وقد يكون التشابه في الانتماء إلى مدينة واحدة أو عقيدة واحدة كطبقة شعراء القرى العربية وطبقة شعراء اليهود ، وقد يكون تشابهاً في غير ذلك ومن هنا :

فعنوان الكتاب بمثابة المفتاح الأول لولوج المتلقي إلى النص ، فهو أحد العتبات الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها ، ويتضح ذلك جلياً من خلال المبادئ التي اعتمدها ابن سلام في تقسيمه للشعراء أو بالأحرى منهجيته في تصنيف الشعراء ، مستندا في ذلك إلى مجموعة من المصادر .

¹ - داود غطاشة الشوابكة ومحمد أحمد صوالحة، النقد العربي القديم حتى نهاية القرن الخامس الهجري، ص 66.

² - ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص 1.

³ - المصدر نفسه ، ص 24.

5 / مصادر التأليف :

لقد اعتمد ابن سلام الجمحي في تأليفه لكتاب طبقات فحول الشعراء على عدة مصادر نذكر منها :

أ / القرآن الكريم :ومن خلال مقدمة ابن سلام نلاحظ أنه استدل بالعديد من آيات القرآن الكريم تتمثل في :

قوله عز وجل : ﴿ فَقَطَعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ سورة الأنعام الآية :45

وقوله تعالى وقوله : "أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادِ الْأُولَىٰ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ" سورة النجم الآية 50.51

وقوله : ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ سورة الحاقة الآية :8.

وقوله : ﴿ وَقُرُونَا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ سورة الفرقان الآية 38.

وقوله : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مَنَ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مَنَ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ

إِلَّا اللَّهُ ﴾ سورة إبراهيم الآية :9

كما يبين ابن سلام العديد من المراجع التي يرجع إليها وسماها: عامة الناس أو الجمهور ورواة الشعر، وأهل العلم، والعشائر العربية وأراء السلف في الشعراء وأن أهل زمانه لا يتقون إلا بالمرجع الأخير(آراء المتقدمين)حيث يقول في الشعراء الذين ألف فيهم كتابه "وقد اختلف الناس والرواة فيهم ،فنظر قوم من أهل العلم بالشعر ،والنفاذ في كلام العرب ،والعلم بالعربية -إذا اختلف الرواة -فقالوا بأرائهم ،وقالت العشائر بأهوائها ، ولا يقنع الناس مع ذلك إلا الرواية عن تقدم"¹

ب/علماء العربية : يتبين ذلك:

في قول ابن سلام : "وكان لأهل البصرة في العربية قدمة وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية ، وكان أول من أسس العربية ، وفتح بابها ، وأنهج سبيلها ، ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي ، وهو ظالم بن عمرو بن سفيان ... وكان ممن اخذ عنه يحيى بن يعمر ، وهو رجل من عدوان ، وعداده في بني ليث ، وكان مأمونا عالما ، يروى عنه الفقه ... ثم كان من بعدهم عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ، وكان أول من نعج النحو ، ومد القياس والعلل .

وكان معه أبو عمرو بن العلاء ، وبقي بعده بقاء طويلا . وكان ابن أبي إسحاق أشد تجويدا للقياس ، وكان أبو عمرو أوسع علما بكلام العرب ولغاتها وغريبها ... وكان عيسى بن عمر

¹ - المصدر السابق ، ص24.

أخذ عن ابن أبي إسحاق، وأخذ يونس عن أبي عمرو بن العلاء، وكان معهما مسلمة بن عبد الله بن سعد بن محارب الفهري¹؛ وبخصوص أساتذة مدرسة البصرة يقول: "سمعت أبي يسأل يونس عن ابن أبي إسحاق وعلمه قال: هو والنحو سواء أي هو الغاية. قال: فأين علمه من علم الناس اليوم؟ قال: لو كان في الناس اليوم من لا يعلم إلا علمه يومئذ لضحك به، ولو كان فيهم من له ذهنه ونفاذه ونظر نظرهم، كان اعلم الناس... وسمعت يونس يقول: لو كان أحد ينبغي ان يؤخذ بقوله كله في شيء واحد، كان ينبغي لقول أبي عمرو في العربية أن يؤخذ كله، ولكن ليس احد إلا وأنت أخذ من قوله وتارك".

كما يبين ابن سلام شيئاً من طبيعة الموقف العلمي لكل من أساتذة هذه المدرسة من شعراء العرب فيقول: "اخبرني يونس أن أبا عمرو كان اشد تسليماً للعرب، وكان ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر يطعنان عليهم"²

كما استعان ابن سلام بفئة ممتازة من علماء العربية حيث يقول: "ثم كان الخليل بن احمد، وهو رجل من الأزدي من فراهيد... فاستخرج من العروض، واستنبط منه ومن عله ما لم يستخرج احد، ولم يسبقه إلى مثله سابق من العلماء كلهم" ومن علماء الشعر ونقاده خلف بن حيان أبو محرز المعروف بخلف الأحمر، وعنه يقول ابن سلام: "اجتمع أصحابنا انه كان أفرس الناس ببيت شعر، وأصدق لساناً، كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبراً، أو أنشدنا شعراً، أن لا نسمعه من صاحبه.. وكان الأصمعي وأبو عبيدة من أهل العلم، واعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة: المفضل بن محمد الضبي الكوفي"³

¹- المصدر السابق، ص15..

²- المصدر نفسه، ص15،16.

³- المصدر نفسه، ص22.

6- زمان ومكان التأليف:

ويعتبر كل منهما عنصرا فعلا مساهما في تكوين بنية المقدمة وهذا ما تم استنتاجه من خلال مقدمة ابن سلام الجمحي.

أ/ الزمان: ويتضح عندما قسم ابن سلام الشعراء إلى مجموعتين: جاهليين وإسلاميين، حيث خصص طبقة لكل منهما:

طبقة شعراء الجاهليين: وتضم عشر طبقات في كل طبقة أربعة شعراء، وذلك من خلال قول ابن سلام: " ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام."¹ فتجلي الزمن واضح، إذ ارتبط بالفترة الجاهلية وبفترة الإسلاميين أي بحقتين زمنيتين مختلفتين.

ب/ المكان: عندما قسم ابن سلام الشعراء إلى جاهليين وإسلاميين ووضعهم في طبقات خصص كذلك بابا لشعراء القرى العربية، وهي خمس: " المدينة، ومكة، والطائف، واليمامة، والبحرين"²

فمثلت هذه الأخيرة تعدد الأمكنة في مؤلفه، وذلك دلالة واضحة عليها، وعليه فمن خلال اعتبار أن كل منهما - الزمان والمكان - عنصران فعالان في تكوين بنية المقدمة.. هذا إذن عن الزمان والمكان، فماذا عن الانتهاء؟

ثالثا: الانتهاء

ويعتبر آخر عنصر مكون لبنية المقدمة، فبالنظر إلى كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، نجد أن مكون الانتهاء يتمثل في ذلك المكان النصي أو الفراغ الذي انتهت فيه كتابة المقدمة دون الإفصاح عنه بدال لغوي، ومن هنا فهذا المكان النصي عبارة عن دال غير لغوي وهو مكان صامت لكن الصمت في حد ذاته ذو دلالة أي انه ناطق بصمته لأنه يوحي بأكثر من دلالة.

¹ - المصدر السابق، ص 24.

² - محمد بن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، إعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي، ص ح.

في الحقيقة أن هذا الفراغ كمكان نصي يأتي ليؤثث لبناء النص المقدماتي من خلال تنظيم الوحدات الدلالية للمقدمة، زيادة على أن هذا المكان النصي يسهم في تفاعل السمع مع البصري أي الخطابة مع الكتابة، فكما تتجاوب الوحدات تتجاوب النهاية مع البداية أي ان النهاية هي نتيجة النص التي تعود على البداية بمعنى أن "النواة الأولى التي بنيت عليها المقدمة في مجملها يتم التذكير بها وإثارة الانتباه إليها والتبشير بولادتها قبل أن يغادر المؤلف مكان المقدمة إلى مكان آخر حيث الولادة الكاملة للنطفة المزروعة في رحم الاستهلال.

ومن هنا نجد أن المسافة الفاصلة بين البداية والنهاية تقوم على التوقع ذلك أن من ضمن ما تزود به التجربة السابقة المتلقي. القدرة على التوقع، أي توقع ما يمكن أن يكون اللاحق بناء على وقوفه (أي المتلقي) على السابق¹ ومن ذلك قول ابن سلام "ثم انا اقتصرنا بعد الفحص والنظر... وسنسوق اختلافهم واتفاقهم ونسمي الأربعة... ونذكر من شعرهم الأبيات التي تكون في الحديث والمعنى"² فبعد الفراغ النصي يشرع ابن سلام في تقسيم طبقاته مثلما تم توضيح في مدخل بحثنا هذا.

وفي الختام يمكننا القول أن بنية المقدمة في كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام **الجمعي** تتموضع من خلال الاستهلال ممثلاً في: البسملة والراوي والبعدي يليها العرض مؤطراً بجملة من النقاط منها: أسباب التأليف، ومصادره، و زمكانيته، وصولاً إلى الانتهاء كوحدة خطابية قائمة بذاتها.

¹ خطابي، محمد، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص ص57-58.

² ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، ص:64.

سادت القرن الثالث الهجري حركة نقدية وأدبية كبرى ، بلغ فيها الأدب حدا كبيرا من النضج والتألق، تمظهر في الثورة الأدبية الضخمة ،والعدد الكبير من الشعراء الفحول من جاهليين وإسلاميين وأمويين، تواكبها موجة نشيطة من الآراء النقدية والأدبية والمفاضلات فالتفت العلماء إلى التدوين والتأليف بدفعهم الى ذلك التشجيع المادي والمعنوي من الخلفاء والأمراء، فبرزت مؤلفات أصيلة لا تزال مرجعا ومعلما يستند إليه الباحث، لعل أبرزها في النقد كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، الذي أسس لحركة نقدية تعتمد الموضوعية من خلال التركيز على مقاييس معينة، ليصل البحث إلى بنية المقدمة في كتب النقد العربي القديم دون إغفال أنواعها ووظائفها الأساسية ليختم البحث بتسليط الضوء على بنية المقدمة في كتاب الطبقات لابن سلام الجمحي.

وقد حاول البحث رصد النتائج المتحصل عليها في نقاط لعل أبرزها ما يلي:

- 1- مساهمة رواة القرنين الأول والثاني الهجريين في تحديد مسار القضايا النقدية الكبرى التي أوجدت لنفسها مكانا هاما في مؤلفات القرون الموالية .
- 2- تمنهج الدراسات النقدية خاصة مع حركة التأليف ، مع بداية القرن الثالث الهجري.
- 3- يعتبر ابن سلام أول من نظم تلك الآراء النقدية الصادرة عن الرواة في كتابه طبقات فحول الشعراء.
- 4- رغم تعدد طبقات كتاب الطبقات واختلافها في بعض الأحيان، إلا أن هذا لم ينقص من أهميته.
- 5- أن النقد العربي القديم استقام عوده بفضل كتاب طبقات فحول الشعراء من خلال.
- 6- اعتماد ابن سلام على مقاييس نقدية معينة كقياس الفحولة والمشابهة، والكثرة وتعدد الأغراض، والجودة معيارا لتقسيم الشعراء إلى طبقات.
- 7- للمقدمة أهمية بالغة فهي تمثل المدخل الرئيسي للنص، وذلك بالنظر إلى أنواعها المتعددة.

8- اهتمام النقاد العرب القدامى ببنية المقدمة عبر وحداتها وذلك من خلال مؤلفاتهم: كتاب "الشعر والشعراء" لابن قتيبة، وكتاب عيار الشعر لابن طباطبا وغيرها من المؤلفات.

9- تفرقة ابن سلام في الشعر بين الجانب الإبداعي والجانب النقدي من خلال رسم معالم شخصية الناقد.

10- تفرقة ابن سلام في الشعر بين الجانب الإبداعي والجانب النقدي من خلال رسم معالم شخصية الناقد.

11- تفرقة ابن سلام في الشعر بين الجانب الإبداعي والجانب النقدي من خلال رسم معالم شخصية الناقد.

12- تفرقة ابن سلام في الشعر بين الجانب الإبداعي والجانب النقدي من خلال رسم معالم شخصية الناقد.

13- اعتماد الذوق معيارا للفصل بين مكانة الشعراء في حالة تباين الآراء .

14- تثمين أهمية الذوق في تقدير القيم الفنية والإحساس بالجمال.

15- تميز بنية المقدمة بوظائف عديدة من خلال وحداتها الخطابية الثلاث

(الاستهلال، العرض، الانتهاء) جعلها تطفو على الساحة الأدبية، بوصفها خطابا بدئيا، وهكذا تتمظهر بنية المقدمة كمشروع نقدي قابل للدراسة في كتب النقد قديما وحديثا. تفرقة ابن سلام في الشعر بين الجانب الإبداعي والجانب النقدي من خلال رسم معالم شخصية الناقد.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش.

أولاً: المصادر

1- ابن رشيقي العمدة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط3، 1963 .

2- ابن عبد ربه، أحمد الأندلسي، العقد الفريد، ج1، تح محمد سعيد العريان، دار الكتاب العربي بيروت.

3- ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة مصر، ط2، 1974.

4 - ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تقديم وشرح محمود الريدائي، مكتبة دار الفتاح، دمشق، ط1، 1969.

5_ ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، إعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي دار النهضة العربية للطباعة والنشر ط بيروت، دت.

6 - ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية بيروت ط2، 2005 .

7- ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان 1925.

8- ابن جني، الخصائص، تح، محمد علي النجار، ج1، دار الكتب المصرية بيروت، لبنان.

9- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1987.

10 - أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ج1، شرح احمد أمين، واحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت، لبنان، دط.

11- أبو علي أحمد بن الحسن المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، نثره أسد أمين وعبد السلام هارون م1 دار الجيل بيروت لبنان ط1، 1991.

- 12 - أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة، تح جمال طلبة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 2001 .
- 13 - أبو هلال السكري، سر الصناعتين، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1 . 1981.
- 14 - الخطيب التبريري، شرح القوائد العشر ضبطه وشرحه عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1997 .
- 15- الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتبني وخصومه، تح وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار القلم بيروت -لبنان 1966.
- 16- الطبري،أبي جعفر ابن جرير، جامع البيان في تفسير آيات القرآن، دار الفكر بيروت 1978.
- 17- المبرد،أبي العباس،الكامل،تعليق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1،المكتبة العصرية بيروت .
- 18- الرازي أبو عبد الله محمد بن بكر، روضة الفصاحة، دار وائل للنشر، ط1، 2005.
- 19-علي بن معصوم المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع،بيروت ج 1، مطبعة النعمان د.ط.
- 20- عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة،تح،عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية،بيروت ط1، 2001.
- 21- قدامى بن جعفر،أبي الفرج البغدادي،نقد النثر،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان 1982.

ثانيا: المراجع

- 1 - أحمد عبد الغفور عطار،مقدمة الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ط1 1956.
- 2- ادونيس، كلام البدايات، دار الآداب، بيروت، ط1، 1989.

- 3- أرسطو، فن الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجزائر - 1980 .
- 4- الطرابلسي، امجد، نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة، ترجمة/ إدريس بلمليح، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1993.
- 5 - الشاذلي المصطفى، مقارنة أولية لكيفية اشتغال المقدمة في الخطاب النقدي القديم- مقال ضمن مجلة علامات في النقد- 1998، المجلد السابع الجزء 29.
- 6 - جهاد المجالي، طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، مكتبة الرائد العلمية ،عمان، الأردن، ط2 . 1992 .
- 7- حبيب مونسي نظرية الكتابة في النقد العربي القديم .دار الغرب للنشر ط 1 2000- 2001 .
- 8- حسين خمري .نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال ،منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم -الجزائر- ط1 ، 2007.
- 9- حسن إسماعيل، شعرية الاستهلال عند أبي نواس ، دار فرحة للنشر والتوزيع، المنيا، ط1 2003.
- 10 - خطابي ، محمد، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991.
- 11 - داود غطاشة الشوابكة ،محمد أحمد صوالحة ،النقد العربي القديم حتى نهاية القرن الخامس الهجري ، دار الفكر ،عمان ، ط 1 ، 2009 .
- 12 - زكي مبارك،النثر الفني في القرن الرابع، دار الجيل،بيروت-لبنان-د ط ، 1975.
- 13-عبد الله العشي، زحام الخطابات، دار الأمل، تيزي وزو، 2005.
- 14- عبد العزيز حسوس، نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ،منشورات الوراق الوطنية ، مراكش ط1، 2008.
- 15- عبد الحق بلعابد، عتبات جيران جينيت من النص إلى المناص، الدار العربية للعلوم ، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1. 2008.
- 16- عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص، إفريقيا الشرق-المغرب- ط 1 ، 2000.

- 17- عبد النبي ذاكر، عتبات الكتابة. مجموعة البحث الأكاديمي في الأدب الشخصي، دار وليلي للطباعة والنشر، المغرب ، ط1، 1998.
- 18- عبد الفتاح الحجمري، عتبات النص في البنية والدلالة، منشورات الرابطة ، الدار البيضاء، ط1، 1996.
- 19- عروة عمر، دروس في النقد الأدبي القديم ، أشكاله وصوره ومناهجه، ديوان المطبوعات الجامعية ،الساحة المركزية بن عكنون -الجزائر- د ط. 2010.
- 20- عمار بوحوش، دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- 21- عزالدين إسماعيل، المصادر الأدبية واللغوية، دار النهضة العربية بيروت-لبنان
- 22- عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب ،دار الوعي للنشر والتوزيع رويبة-الجزائر، ط 9 ، 2012 .
- 23- فيصل صالح القيصري، بنية القصيدة في شعر عزالدين المناصرة ،دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان الأردن، ط1 2006.
- 24- محمد مصايف ، دراسات في النقد والأدب ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981.
- 25- مصطفى عبد الرحمان إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، كلية الدراسات الإسلامية للبنين القاهرة-مصر، دط، 1998.
- 26- مصطفى سلوى. عتبات النص. المفهوم والموقعية والوظائف، منشورات الآداب، رقم 71، المغرب ، 2003.
- 27- شعيب خليفي، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، الدار البيضاء، دط، 2005.

ثالثاً: المعاجم

- 1 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ، ط 3 ، 2004 .
- 2_ إبراهيم أنيس وعبد الحلیم منتصر، المعجم الوسيط، ج2، دار المعارف بمصر، ط2، 1973.
- 3- الزمخشري جار الله أبو القاسم، أساس البلاغة ، دار بيروت للطباعة والنشر ، لبنان، ط1، 1992.
- 4_ مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ج1 ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول د.ط. د.ت.

ثالثاً: المجلات والدوريات

- 1 - نوال بن صالح ،التراث النقدي العربي برؤية نقدية معاصرة ،مجلة المخبر-جامعة بسكرة-الجزائر.العدد العاشر 2014 .

فهرس الموضوعات

مقدمة.....	أ - ج
مدخل: النقد العربي القديم لابن سلام الجمحي.....	06
أولا : النقد العربي القديم.....	10-06
ثانيا:التعريف بالمؤلف(ابن سلام الجمحي).....	13-11
ثالثا : التعريف بالمؤلف(كتاب طبقات فحول الشعراء).....	17-13
رابعا :مقاييس النقد عند ابن سلام.....	20-17
الفصل الاول :بنية المقدمة في كتب النقد العربي القديم.....	22
أولا:بنية المقدمة.....	22
1_ مفهوم البنية	22
أ_ المدلول اللغوي.....	22
ب_ المدلول الاصطلاحي.....	22
2_ مفهوم المقدمة	23
أ_ المدلول اللغوي.....	23
ب_ المدلول الاصطلاحي.....	27-23
3_أنواع المقدمات.....	27
أ_ المقدمة الموسعة.....	27
ب_ المقدمة المضيقية.....	27
ج_ المقدمة المضافة.....	28

4_وظائف المقدمات.....	29
أ_ الوظيفة التأصيلية.....	29
ب_ الوظيفة الايصالية.....	29
ج_ الوظيفة التفصيلية.....	30-31
5_أنواع الاستهلال.....	32
أ_ الاستهلال الواقعي.....	32
ب_ الاستهلال التخيلي.....	32
ج_ الاستهلال المزيف.....	32-33
ثانيا:بنية المقدمة في كتب النقد العربي القديم.....	34
1_البسمله.....	35-36
2_الحمدله.....	36-38
3_التصلية والتسليم.....	38-39
4_التشهد.....	39-41
5_دواعي التأليف.....	41-45
6_جنس التأليف.....	45-46
7_خطة التأليف.....	46-47
8_تقريض الكتاب.....	47-48
9_مصادر التأليف.....	49
10_زمان التأليف ومكانه.....	49

51-49.....	11_ الدعاء والحمد.....
53.....	الفصل الثاني: بنية المقدمة في كتاب طبقات فحول الشعراء.....
53.....	أولاً: الاستهلال.....
54-53.....	1_ البسملة.....
57-55.	2_ الراوي.....
58.....	3_ البعدية.....
59.....	ثانياً: العرض.....
72-59.....	1_ أسباب التأليف.....
73-72.....	2_ جنس التأليف.....
75-73.....	3_ خطة التأليف.....
75.....	4_ العنوان.....
77-76.....	5_ مصادر التأليف.....
78.....	6_ زمان ومكان التأليف.....
79-78.....	ثالثاً: الانتهاء.....
82-81.....	الخاتمة.....
.88-84.....	المصادر والمراجع.....
90.....	الملخص.....
92.....	فهرس الموضوعات.....

الملخص

يتحدث هذا البحث عن بنية المقدمة في كتب النقد العربي القديم، من خلال كتاب "طبقات فحول الشعراء" لابن سلام الجمحي، حيث تم التطرق في الفصل الاول الى بنية المقدمة في كتب النقد العربي القديم وذلك بالإشارة الى أنواعها وأهم وظائفها وأبرز أعلامها.

أما الفصل الثاني فتناول بنية المقدمة ، في كتاب "طبقات فحول الشعراء"، بتسليط الضوء على الوحدات الخطابية الثلاث: الاستهلال والعرض والانتهاء باعتبارها المكون الأساسي لبنية المقدمة عند ابن سلام.

Résumé

Ce travail de recherche traite la structure de preface dans les livres de l'ancien critique Arabe, dans les livres de l'Agence Old Arabian Monetary, à travers le livre "**étalons poètes couchés**" d' **Ibn salam Jamhi**, où ils ont été abordés dans le premier chapitre de la structure présentée dans les livres de l'Ancien critique arabe en pointant sur les types et les fonctions les plus importantes et les drapeaux les plus éminents.

Chapitre II adressé à la structure proposée, dans le livre "étalons poètes couchés", en soulignant les trois unités: rhétoriques de démarrage et d'alimentation et de finition que la composante de base de la structure fournie par **Ibn salam**.